

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية و الحضارة

قسم التاريخ



عن _____ وان:

التصوف عند الأمير عبد القادر الجزائري

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر

تحت إشراف الأستاذ:

د/عبد الرحمان قفاف

من إعداد الطالبة:

آسیا عرارم

الموسم الجامعي: 2023/2022

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

الحمد لله و الصلاة و السلام على سيد الخلق وآخر المرسلين محمد عليه أفضل الصلاة

وأزكى التسليم، أما بعد:

قال الله تعالى: " الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله "

الأعراف -43-

الى منارة العلم و إمام الأمة المصطفى سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم.

الى من اشترط الله مرضاته برضاها و جعل رضاها مفتاحا للجنة ودعاؤهما تسهيلا

للحياة، الى سندي في الحياة الوالدين الكريمين الذي لن يوفى حقهما مهمة قلت من

الكلام.

الى اجمل هدايا الرحمان لي و من كانوا سندا وعونا إخوتي الكرام و أهلي وأقاربي ، الى

كل من يذكره القلب و لم يخطه القلم، الى كل الصديقات والزملاء الى كل فاه دعا لي

دعوة نجاح اسديكم ثمرة جهدي.

عرارم اسيا

كلمة شكر و تقدير

بدأنا بأكثر يد وقاسينا أكثر من ها ونحن اليوم والحمد لله نطوي سهر الليالي وتعب الأيام وخلاصة مشوارنا بين دفتي هذا العمل المتواضع.

فالحمد لله الذي وفقنا و منحنا القوة و الشجاعة و الصبر على ثم نتقدم بالشكر الجزيل و الامتنان تحمل أعباء هذا البحث الذي تفضل بقبول الأستاذ " قفاف عبد الرحمان" المشرف الذي لم ييخلنا بنصائحه الواضحة وشراف على هذا البحث و توجيهاته و إرشاداته لنا طيلة الوقت و تعامله الحسن السديدة و كل المميزات التي تركت انطبعا على صفحات ذو الجودة العالية هذا الموضوع.

كما نتوجه بخالص الشكر و العرفان الى من علمونا حروفا من ذهب و كلمات من درر وصاغوا لنا من عملهم حروفا و من فكرهم الى أساتذتنا الكرام الذين قدموا لما الكثير.

الى كل من ساعدنا او وجهما ولو بكلمة من قريب أو بعيد تقبلوا منا خالص عبارات الشكر والتقدير.

قائمة المختصرات

الرمز	الدلالة
ص	صفحة
تح	تحقيق
تع	تعليق
تر	ترجمة
د.ط	دون طبعة
د.ت	دون تاريخ
ط	الطبعة
م	ميلاد

المقدمة

يعد التصوف من أهم مرتكزات الفكر الإسلامي فهو بذلك يمثل التزعة الإنسانية و ظاهرة دينية روحية لها مكانة في العالم الإسلامي والعربي. كما تشير كلمة التصوف الى نمط من الفكر و السلوك الذي يقوم على إصلاح القلوب وتدريب النفس على عبادة الله تعالى طمعا في رضاه و ذلك من خلال العزوف عن الملذات الدنيا و شهواتها، حيث تأثرت به تيارات فطرية استوحت منه مشارب الأدبية.

فالتصوف جاء كرد فعل على الأوضاع السائدة آنذاك (الترف، البذخ، التفسخ الأخلاقي...)، داخل الأمة الإسلامية وبالتحديد الجزائر فتتج عنه ظهور نخبة من المتصوفة الذين طبقوا منهج التصوف قصد التقليل من الانحلال الذي كان سائد في المجتمع.

ففي ظل هذه التغيرات برزت عدة شخصيات سعت جاهدة لإصلاح المجتمع فنجد المفكر الأمير عبد القادر (1807-1883) الذي يعد من أهم الشخصيات البارزة التي تركت أثرا في العالم العربي ذلك لأنه كبد فرنسا خسائر كبيرة هذا دليل على حنكته في القيادة السياسية العسكرية مما أدى الى التخطيط لإنشاء دولة جزائرية.

لكن بالرغم من كونه سياسي عسكري إلا انه ينتمي الى عائلة متدينة اشتهرت بقربها الشديد من الزوايا والطرق الصوفية فقد حجب الجانب الكفاحي والسياسي لحياة الأمير عبد القادر الجانب الصوفي العرفاني و الثقافي والفكري من حياته.

ومن هنا كان موضوع التصوف عموما و تصوف الأمير عبد القادر خصوصا من المواضيع التي تفرض نفسها بإلحاح فالأمير عبد القادر الجزائري من أكثر الشخصيات المثيرة سواء في سياسته اة فكره وتصوفه وهذا ما سيحاول البحث الذي بين أيدينا معالجته تحت عنوان: " التصوف عند الأمير عبد القادر الجزائري".

أهداف الدراسة:

- تهدف هذه الدراسة الى تحقيق جملة من الأهداف أبرزها:
- التعريف بأحد أعلام التصوف العرفاني في الجزائر وهو الأمير عبد القادر الجزائري الذي اختزل فكره و حياته المفعمة بالنفحات العرفانية في زاوية ضيقة لا تتجاوز حياته الكفاحية.
 - الكشف عن حقيقة التصوف بسقيه العملي والنظري عند الأمير عبد القادر وما خدمه من شعر و نشر.
 - تقديم نموذج صوفي إنساني حضاري متمثل في الأمير عبد القادر الجزائري الذي أسهم في البناء الحضاري بأنجازاته.

أهمية الموضوع:

- نختصر أهمية الموضوع في النقاط التالية:
- أول أهمية لهذا الموضوع تكمن في الجدل القائم حوله حول التصوف من جهة وحول شخصية الأمير عبد القادر من جهة الثانية وهذا ما يترك الموضوع على تعدد تناوله من الموضوعات التي تحتاج الى مزيد من الدراسة والبحث.
 - تعود أهمية البحث أيضا الى ما كتبه الأمير عبد القادر وخاصة كتاب "المواقف" حيث تعد نصوصه فضاء واسعا لإبداعات فنية و أدبية و فلسفية و عرفانية أصلية باحثة للنظر والتدقيق.
 - يعتبر البعد الإنساني لتصوف الأمير عبد القادر نموذجا للميراث المعنوي العميق الذي يعتز به الموروث الإسلامي والذي يمكن الاستفادة منه لإصلاح الحاضر.

دوافع اختيار الموضوع:

أ. الدوافع الذاتية:

- الرغبة في التعرف على تجربة الأمير عبد القادر الصوفية
- الميل للبحث في الفكر الصوفي
- دراسة جانب لم يدرس من قبل

ب دوافع موضوعية:

- للموضوع قيمة في المجال المعرفي يمكن في التعرف على فكر إنساني عميق أنى به احد
- أقطاب التصوف الجزائري عبر مسيرة من التطور لتصنيف لما في هذا العصر مزيدا من المعرفة بالعديد من القضايا الوجودية والإنسانية.

الإطار الزمني و المكاني: يأتي الإطار الزمني لتصوف الأمير (ميلاده-وفاته)

إشكالية البحث:

بناء على ما سبق تمحورت فكرة البحث حول الإشكالية الآتية:

فيما تجلت التصوف عند الأمير عبد القادر؟

تتفرع هذه الإشكالية الى جملة من التساؤلات أهمها:

- ما مفهوم التصوف عند الأمير عبد القادر؟
- ما مدى تأثير الفكر الصوفي عند الأمير عبد القادر في تحقيق البعد الإنساني؟
- ماهي مراحل التصوف عند الأمير عبد القادر و أهم الدوافع لتصوفه؟

خطة البحث:

استوي البحث في أربعة فصول بمقدمة و خاتمة أما المقدمة فقد تضمنت العناصر المنهجية اللازمة من خلال بيان أهمية الموضوع واشكاليته و دوافع اختياره وأهدافه وذكر الدراسات السابقة المساعدة على صياغته وبيان الخطة التي سار عليها البحث ثم الإشارة الى المنهج المتبع.

أما الفصل الأول بعنوان " حياة الأمير عبد القادر " تطرقت فيه الى شخصية الأمير عبد القادر من خلال أصله ومولده ونشأته ووفاته، و تناولت أيضا في هذا الفصل إنتاجه الفكري وذلك عبر الحديث الى أهم مؤلفاته منها الشعرية والنثرية وأيضاً ظهور الطرق الصوفية بالجزائر.

وفي الفصل الثاني فخصصته لتصوف الأمير عبد القادر من خلال التطرق الى مفهوم التصوف في فكره و ذكر أهم الأحوال والمقامات الصوفية من خلال تعريفها والتطرق الى أهم عناصرها و أيضاً تناولت أهم الدوافع و مراحل لتصوفه.

أما الفصل الثالث الذي جاء بعنوان الدلالة الصوفية عند الأمير عبد القادر فتمت فيه بالحديث عن شعره و نثره و تعريف الرمز الصوفي وأهم رموز الدلالة الصوفية عنده. وفي الفصل الرابع تحت عنوان الأبعاد الإنسانية لتصوف الأمير عبد القادر من خلال الحديث عن أهم بعد الإنساني أثناء خطابات من شعر و نثر و البعد الإنساني أثناء توليه الإمارة وبعدها.

وفي الأخير ختمت بحثي بخاتمة والتي كانت عبارة عن أجوبة طرحت أسئلتها في مقدمة البحث و توصلت اليها من خلال هذا البحث المتمثل في تصوف الأمير عبد القادر والذي كانت عبارة عن استنتاج عن الموضوع بجمعه.

المنهج المتبع:

نظرا لطبيعة الموضوع استخدمت المنهج الوصفي التحليلي.

الدراسات السابقة:

- دراسة الباحثة عائشة بن سعدة بعنوان : " البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري"، و هي عبارة عن رسالة ماجستير تخصص تاريخ الحديث ومعاصر، إشراف: د.ناثر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، قسم التاريخ، 2004/2003.، وقد تناولت من خلالها الباحثة تأثير البعد الروحي لشخص الأمير في مقاومته العسكرية وفي كل قراراته السياسية وقد ركزت هذه الدراسة على الجانب التاريخي والسياسي ولم تتناول المنظومة العرفانية للأمير من خلال بعض الإشارة الطفيفة لبعض النقاط من خلال بعض المطالب.
- كتاب تاصر الدين سعيدوني بعنوان: " عصر الأمير عبد القادر" الذي ساعدنا في التعرف على مسيرة الأمير عبد القادر الصوفية ثوراته و انتفاضاته الشهيرة ودوره العظيم في الجهاد ونجد كذلك مراجع كثيرة.
- كتاب الأستاذ عبد الرزاق السبع بعنوان : " الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه"، والذي ساعدني كثيرا في التعرف على شخصية الأمير عبد القادر الجزائري و ثقافته وأيضاً إنتاجه الفكري من مؤلفاته ونثره و شعره
- كتاب أبو قاسم سعد الله بعنوان: " التاريخ الجزائري الثقافي" الجزء الثاني الذي تناول جانبا من جانب التصوف وهو نشأة التصوف بالجزائر واهم الطرق الصوفية آنذاك.

العراقيل:

- لا يخلو أي بحث من صعوبات تواجه الباحث و عليه وقد واجهت بعض الصعوبات منها:
- قلة المصادر كون هناك مصادر تعالج الموضوع بشكل عام ولا تتعمق في الإشكالية المطروحة.
- الغموض في فهم بعض المصطلحات.

الفصل الأول

المبحث الأول: التعريف بالأمير عبد القادر

المبحث الثاني: الإنتاج الفكري للأمير عبد القادر

تمهيد

يعد الأمير عبد القادر الجزائري من بين الرجال الذين تعددت حولهم الكتابات العربية والأجنبية والتي تناولت العديد من الجوانب التي تخص حياته والتي ساهمت في الكشف عن بعض الحقائق بالرغم من اختلاف الكتابات بين الحين والآخر ولهذا تطرقنا من خلال الفصل الأول على دراسة حياة الأمير عبد القادر من مولده الى وفاته.

المبحث الأول: التعريف بالأمير عبد القادر

أولاً: أصله و مولده

1. أصله

يعود أصل الأمير و أسرتها الادارسة الذين كانوا ملوكا في المغرب الأقصى والأوسط والأندلس¹، ويعتبر السيد عبد القوي الأول أول أجداد الأمير الذين نزحوا عن المغرب الأقصى و استقر بقلعة بن حماد قرب سطيف من أعلام الجزائر، وذلك بعد أن اشتدت الفتن واضطربت الأحوال في مراكش.

وقد اشتهرت سلالة الأمير وعائلته بالعلم والتقوى والجهاد، فكانوا بذلك موضع تقدير واحترام من طرف الجميع، يُرجع إليهم في كل صغيرة وكبيرة، وبالتالي استطاعت اسرة الأمير أن تبسط نفوذها على القبائل النازلة في نواحي الغرب الجزائري المتاخمة للمغرب، وخاصة في عهد السيد محيي الدين والد الأمير عبد القادر الذي اشتهر بالعلم والتقوى وشدت إليه الرحال من الضواحي والأمصار لتلقي العلوم والأذكار، وقد جبل الله النفوس على محبته والقلوب على مودته.²

وكان يلقب بالشريف انتسابه إلى سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم كما كان يمثل شيخ الطريقة القادرية بالجزائر التي انتسبت إليها أسرة الأمير في عهد جده السيد محمد المعروف المجاهد، ولذلك كانت قبيلة بني هاشم تنظر إليه نظرة ولي من أولياء الله.

¹ محمد طه الحاجري، " جوانب من الحياة العقلية والادبية في الجزائر"، معهد البحوث بجامعة الدول العربية الدراسات العربية، القاهرة، 1968، ص16.

² عبد الرزاق السبع، " الأمير عبد القادر الجزائري و ادبه"، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، دط، 2000، ص11

وقد تزوج الشيخ محيي الدين والد الأمير، من أربع نسوة رزق منهن بستة أولاد، كان الأمير ثانيهم من زوجته الثالثة السيدة زهرة ابنة سيدي محمد بن دوحة الحسنية والتي توفيت عن عمر يناهز الثمانين سنة.

هو الأمير عبد القادر بن محيي الدين، بن مصطفى، بن محمد، بن مختار، بن عبد القادر، بن أحمد المختار، بن عبد القادر، بن أحمد المشهور بابن خده، بن محمد، بن عبد القوي، بن علي، بن أحمد، بن عبد القوي، بن خالد، بن يوسف، بن أحمد، بن بشار، بن محمد، بن مسعود، بن طاووس، بن يعقوب، بن عبد القوي، بن أحمد بن محمد ابن إدريس الأصغر، بن إدريس الأكبر، بن عبد الله المحض، بن الحسن المثنى، بن الحسن السبط، بن علي بن أبي طالب، وأم الحسن فاطمة الزهراء بنت سيد لوجود، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وعظم.

كان عبد القادر يكنى بأبي محمد ، أما ألقابه فهي متعددة أطلقت عليه في المناسبات المختلفة منها: أمير المؤمنين -ناصر الدين- الأمير الجزائري - ابن الراشدي- بن خلاد.¹

2. مولده

ولد الأمير عبد القادر بن محب الدين بن مصطفى يوم الجمعة الثالث والعشرين من رجب سنة ألف و مائتان و اثنان و عشرون الموافق للسادس والعشرون من سبتمبر سنة ألف و ثمانية و سبعة (23 رجب 1222 هـ / 26 سبتمبر 1807)²، ببلدية القيطنة قرب مدينة معسكر احد أجداد مؤسس دولة الدارسة بالمغرب الأقصى و رغم ان

¹ المرجع نفسه، ص12

² محمد السيد على الوزير، "الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته و أثرها على أدبه"، مكتبة الملك فيصل الإسلامية، الجزائر، دط، 1986، ص 15.

نسب الأمير عبد القادر نسب شريف إلا أنه كان يرفض رفضاً تاماً استغلال نسبه و أصله لاكتساب الاحترام و الطاعة الناس فكان يقول: " لا تسالوا أبدا ما هو أصل الإنسان وفصله بل اسالو عن حياته وأعماله و شجاعته ومزاياه و قد تدركون من يكون¹

ثانيا: نشأته ووفاته.

1. نشأته

نشأ و تربى في محيط دين علمي و ثقافي و كان موضع اهتمام و عناية كبيرة من طرف والده الذي ما إليه ميلا خاصا فأحاطه برأفته وحنانه المتميزين أنه كان يتوسم فيه المجد، و يحى انه سيكون لهذا الفتى شأنا عظيما فحاول ان ينشأه نشأة تؤهله لتحمل مسؤولية قيادة الأسرة بعد وفاته فكان لا يسمح لاحد غيره ان يقوم بالعناية به فقد هناك على م يبدو سر غامض و عاطفة غير محددة يدفعان الأب إلى أن يخصص اهتماما غير عادي للطفل الذي سيكون مستقبله محفوا بهالة مجيدة ومرتبطا بمستقل بلاده.

التحق عبد القادر بمدرسة والده بالقيطنة وهو في الرابعة من عمره، فكانت ملكاته العقلية علة نبوغ غير عادي فقد كان يقرأ ويكتب عندما كان في الخامسة من عمره، بما أنس الشيخ هذا الاستعداد الكبير وما تحلى به عبد القادر من إمارات الذكاء والفتنة بذل والده خالص جهده في تثقيف ولده وإتاحة الفرص أمامه لرتع من مناهل الثقافة والأدب.

¹ الزهراء زواوي فرحات، " الأمير عبد القادر حياته ودعوته"، مذكرة تخرج ماستر، تخصص إعلام و اتصال، قسم اصول الدين، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، 2018/2017، ص24.

وما أن بلغ عبد القادر الثانية عشرة من عمره، حتى أصبح في عداد حفظة القرآن الكريم، متمكنا من الحديث وأصول الشريعة، وبعدها بستين أصبح في مقدور الشاب عبد القادر أن يلقي دروسا في الجامع التابع لأسرته في مختلف المواد الفقهية¹.

وإدراكا من محي الدين أن العقل السليم في الجسم السليم، راح يشجع ابنه على الفروسية، وركوب الخيل، ومقارعة أنداده، والمشاركة في المسابقات التي تقام آنذاك، فأظهر تفوقا مدهشا فقد كان يلمس كتف فرسه ويضع احد يديه على ظهر الفرس ثم يقفز على الجانب الآخر أو كان يدفع الفرس الى اكبر سرعة ممكنة ثم يترع قدميه و يقف على الدرج و يطلق النار على هدفه بدقة عجيبة.²

وبعد أن اكتملت للشاب المؤهلات الجسمية والعقلية في مسقط رأسه بالقيطنة، قرر أبوه إيفاده إلى وهران للأخذ عن علمائها وتوسيع معارفه، فانظم إلى طلاب مدرسة المدينة التي كانت بإشراف أحمد بن الخوجة، ومكث بها سنتين طالبا للعلم والمعارف شغوبا بالدراسة والتحصيل، فازداد تعمقا في الفقه، وطالع كتب الفلاسفة وتعلم الحساب والجغرافيا، على يد الشيخ أحمد بن الطاهر البيطوي قاضي أرزيو الذي كان مشهورا في ذلك الوقت بغزارة العلم وسعة الإطلاع.³

¹ عبد الرزاق بن السبع، المرجع السابق، ص13

² شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر و تعد: أبو قاسم سعد الله، دار تونسسية، تونس، دط، 1982، ص39.

³ عبد الرزاق بن السبع، المرجع السابق، ص14.

2. وفاته

ومن الطرائف التي جرت للأمير انه في سنة 1296 هـ — شاع بين الناس خبر موته انتشر في البلاد سريعا وجاءت البرقيات و الرسائل تعزي به فقال آنذاك: " الموت لا بد منه عند نهاية الأجل والحمد لله الذي أراني و اسمعني ما يقال في جانبي من الغير بعدي"، ونظمت برثائه حيا قصائد منها مراثية لمحمد إسحاق الادهمي الطرابلسي مطلعها:

هذا المصاب الذي قد كنت أنشاد وافن فما يليني اذن الله

أصيب الأمير بكليته و مرض الموت في أواخر جمادى عام 1300 هـ/1883م وكان خلاله يشتغل بالمراقبة و الذكر ولم يظهر ضجرا ولا تأولا قط ولا ترك الصلاة في وقت من الأوقات لكنه عجز في آخر مرضه عن الوضوء وصار يتيمم و كان في مرضه قليل الكلام.¹

و استمر تردد الأطباء عليه خمسة و عشرون يوما الى أن توفي منتصف ليلة السبت 19 رجب 1300 هـ/24 أيار 1883م، في قصره بقرية دمر في دمشق عن 76 عاما.

و نقل صياح اليوم التالي في عربته الى داره في دمشق، حيث تولى تجهيزه الشيخ عبد الرحمان حليش شيخ العلماء الأزهر ثم حمل نعشه على الأكتاف الى الجامع الأموي فصلى عليه في مشهد حافل لم يسبق له مثيل.

و اجتمعت الآراء على دفنه بجوار الشيخ محي الدين بن عربي فاجتمع مجلس الإدارة للولاية للمذاكرة في هذا الأمر ووافق عليه بعد ترخيص من الباب العالي و سارت جنازته على الطريق الصالحية حتى بلغت دار الكرمة و هناك استقبل النعش قناصل الدول بملابس

¹نزار اباضة، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1994، ص 34.

الرسمية مع فريق من الجنود العثمانيين و الأمراء العسكريين والملكيين، و سارت جنازته ثلاثون ألف حذا الواقفين بالطرقات حتى شيعوه الى مثواه الأخير.

ترك الأمير بعده زوجته ابنة عمه ام البنين وعشرة أبناء ذكور و هم الأمراء محمد باشا، محي الدين باشا، إبراهيم باشا، احمد بن عبد الله باشا، وعلة باشا و عمر و عبد الرزاق و عبد المالك و سمت بنات و ثلاث جواري و جارية حبشية.¹

ومن المصادفات أن الأمير ولد في شهر رجب ببيع بالإمارة في شهر رجب و سلم بعد حروبه في شهر رجب، و توفي في شهر رجب.

وفي سنة 1388هـ/1968م رغبت حكومة الجزائر وبعد سبع سنوات من استقلالها بتدخل رفات الأمير الى الجزائر وتم ذلك في احتفال رسمي مهيب.²

المبحث الثاني: إنتاجه الفكري

أولاً: مؤلفات الأمير عبد القادر

كانت للأمير كتب منها ما هو شعر وما هو نثر ومن هنا يمكن تقسيم مؤلفاته لمؤلفات شعرية و أخرى نثرية:

¹ المرجع نفسه، ص38

² المرجع نفسه، ص38.

1. المؤلفات الشعرية

1.1. الديوان:

وكانت المحاولة الأولى لجمعه بفرنسا عام 1747 حيث ظهر فيها كتاب بعنوان " أشعار الأمير": ضمنت بعض أشعار الأمير القوانين العسكرية التي كانت سارية المفعول في جيشه، عندما كان قائما بأمر الجهاد مع مقدمة فرنسية، أما المحاولة الثانية فقد قام بها انه الأمير محمد الذي جمع شعر والده الأمير في ديوان صغير عنوانه " نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر" وهي مجموعة من شعر الأمير عالم يثبت في كتابه المسمى بالمواقف و تم طبع الديوان في مصر عام 1899م بدليل أن مجلة الهلال نكرت الديوان تحت عنوان " باب التقريط و الانتقاد".

وفي مطلع الستينات من هذا القرن بدأت أولى المحاولات العلمية لتحقيق الديوان وضبطه وشرحه مع الدكتور ممدوح حقي فظهرت الطبعة الأولى عن دار اليقظة العربية في دمشق ونشر بمناسبة مئة عام على حمايته كما يقول المحقق لنصارى الشام في عام 1860م ثم توالى طباعته المحققة بعد ذلك.

وقد رتب الديوان تبعا لفنونه في طبعته الأولى وهي خمسة: الفخر، الغزل والمساجلات، المناسبات والتصوف، و من هذا كان ترتيب موضوعيا تبعا لموضوعاته و فنونه، لا ترتيبا تاريخيا وقد قام باحث حديث بهذا الترتيب الأخير فهرسة علمية للديوان ورتب قصائده ترتيبا موضوعيا حسب الموضوعات الشعرية.¹

¹بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي دار النشر الالكترونية، د ط، د ت، ص48

الأمير في قصائده في الديوان طرق كل أبواب الشعر من مدح ، عتاب، الفخر، التغزل، التهنة، المصارحة، وما الى ذلك من الأغراض الشعرية وزيادة على هذا اهتم بشي آخر هو تصويره الصادق لحالة وطنه في روائع أشعاره و قصائده فجاء شعره صورة طبق الأصل لما هو له الأدباء و الكتاب اليوم في تعريف الشعر من انه تصوير و تعبير وجاءت براعة شعره في كونه استطاع أن ينظم هذا الشعر و يتعاطى قريضه، وهو مازال في الخامسة والعشرين من عمره لم يسبق له أن نظم موازين الشعر و مقاييسه ولا سبق أن تلقى أصوله و مبادئه على أستاذ خبير في الفنون الشعر و أصوله.¹

2.1. القصائد الواردة في مقدمة كتاب المواقف: وردت هذه المقاصد في نهاية مقدمة كتاب الأدب النثرية وقد بلغ عددها 19 قصيدة ثلاث منها وردت بالديوان و الباقية وردت بمقدمة كتاب المواقف تتميز بنها تنتمي الى فن أدبي معنى فن التعوف.²

3.1. كتاب المقرض الحاد:

كتاب المقرض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد ألفه الأمير عبد القادر عندما كان سجيناً في خلعه امبراز بفرنسا أواخر عام 1852م و السبب في ذلك انه بلغ الأمير أن بعض الحكام و الضباط و الأمراء الأوروبيين انتقض من دين الإسلام و اعتبروا انه الخديعة و الغدر من سمات الإسلام نفسه، فوضع الأمير ذلك الكتاب من حفظه دون مراجع مكتوبة للرد عليهم بالدليل الكافي والوافي من القرآن و السنة الصحيحة و بين لهم خطأ اعتقادهم ووضع في الكتاب مسائل وأحكام مهمة و ظهرت فيه روح الدعوة و حرصه على هداية الناس.

¹ المرجع نفسه، ص 49

² المرجع نفسه، ص 49.

4.1. كتاب ذكرى العاقل و تبنيه الغافل:

هذا الكتاب ألف سنة 1271هـ للأمير عبد القادر قسمه الى مقدمة ثلاثة أبواب و خاتمة و أدرج تحت كل باب مجموعة من العناوين التي تخدم الفكرة الرئيسية للموضوع في هذه المقدمة قدمت لمضمون الرسالة ليضع القارئ أمام الموضوع بجملة فيكون على بينة منه قبل الإقدام عليه ، فقد أكد على أن مقياس التفاضل بين الناس يكمن أساسا في العقل والعلم، وهما الوسيلتان الوحيدتان لإدراك الحق ولذلك وجب على العقل أن ينظر في القول إلى قائله.¹

فإن كان القول حقا قبله سواء كان قائله معروفا بالحق أو بالباطل لأن الحكمة ضالة العاقل ، وان معرفة الرجال تكون بالحق ولا يعرف الحق بالرجال ولا بد من نبذ التقليد وإطلاق حرية الفكر والعقل للتطور، والتأمل للاعتبار معرفة الحق بالدليل وفي ذلك يتميز الناس مراتب فمنهم عالم مسعد لنفسه ومسعد لغيره وهو الذي عرف الحق بالدليل لا بالتقليد والأعمى لا يصلح أن يقود العميان.²

5.1. كتاب تحفة الزائر:

كتاب تحفة الزائر في تاريخ الجزائر ومآثر الأمير عبد القادر لمحمد باشا الابن الأكبر للأمير عبد القادر الجزائري، تناول المؤلف فيه تاريخ الجزائر الجغرافي و السياسي وتاريخ والده وجعله في جزأين، كتب في الأول تاريخ الجزائر ككل وتاريخ والده العسكري وملاحمه البطولية بالتفصيل، وأكثر المعلومات في هذا المجال أخذها من والده أثناء حياته، حيث بدأ بتأليف الكتاب، وأخذ أيضاً معلومات من المجاهدين الذين رافقوا والده أثناء

¹علي محمد الصلابي، سيرة الأمير عبد القادر قائد رباني ومجاهد إسلامي، دار المعرفة، لبنان، دط، دت، 288

²المرجع نفسه، ص288

المعارك، وقادة الجيش ومن وزرائه أي من خلفائه في المدن الذين لحقوا به إلى دار الهجرة في دمشق، ومن أعمامه الذين شاركوا شقيقهم في الجهاد وهم سعيد وأحمد ومصطفى وسُجنوا معه في أمبواز.

وفي الجزء الثاني تناول حياة والده في السجن، وتفاصيل أخرى عن زيارة إمبراطور فرنسا له وإطلاق سراحه وذهابه إلى دار الخلافة، واختيار مدينة بورصة ثم دمشق.

على أي حال فكتاب «تحفة الزائر» قيم جداً ذكر تفاصيل هامة للمعارك والانتصارات الباهرة التي أحرزها جيش الأمير على القوات الغازية، من هذه الملاحم معركة «المقطع» وسيدي إبراهيم وعشرات غيرها، مما لم يذكرها أحد قبله بهذه الدقة، فكان هذا الكتاب المرجع الأول في اللغة العربية للباحثين.¹

6.1. مذكرات الأمير عبد القادر:

وهو عمل أدبي يتقلى فيه التحرير الشخصي للأمير مع الإنشاء الجماعي حيث ترك الاشراف لانجاز هذا العمل لصهره وصديقه مصطفى بن التهامي و قد كتب الامير هذه المذكرات عليه لرغبة بعض المترددين عليه من المثقفين و المستشرقين حيث شرح واقعه وحياته و عالج بصراعه تعداده للعراقيل التي واجهته و ظاهرة التباعد بين الضمير السياسي الوجودي و سلوك التشتت.²

7.1. كتاب المواقف في التصوف و الرعظ والإرشاد:

¹ المرجع نفسه، ص 288.

² عائشة بن سعد، البعد الروحي لمقاومة الامير عبد القادر الجزائري ، رسالة ماجستير ، في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، 2018/2017، ص122.

عبارة عن ثلاثة مجلدات خاصة بالتصوف على غرار الفتوحات المكية لابن عربي حقق في سنوات 1960، فيه تفسير لآيات قرآنية وشرح لأحاديث نبوية وتبسيط العقيدة إلى جانب المسائل الوجودية والتاريخية، وفي هذا المؤلف تظهر مكانة الأمير عبد القادر الجزائري في العالم الإسلامي عموماً وفي الشرق خصوصاً، واصل هذا الكتاب عبارة عن دروس ومحاضرات ومواعظ كان يقدمها عموماً في المسجد الأموي بدمشق وفي مختلف دروسه للتلاميذ والمريدين آنذاك، ويرى بعض الدارسين ومنهم "جراد مرابط" في التصوف والأمير عبد القادر أن الكتاب داء بإلحاح من بعض العلماء الذين كانوا يترددون عليه آنذاك ومنهم الشيخ عبد الرزاق البيطار.¹

و يتميز كتاب المواقف بتعدد الأزمان إذ لم يكتب في فترة زمنية واحدة، كم الأماكن إذ يرتبط بالهامات والكشوفات الصوفية التي كانت تاتيهِ أحياناً في مكة وطورا في المدينة المنورة وآخرون في الشام حسب الواردات كما يسميها الأمير.

وقد مد الأمير لهذا الكتاب العقدي والصوفي في الموقف حيث قال: "كل ما تقوله الطائفة العلية -رضي الله عنها- له دليل من الكتاب والسنة عرفه من عرفه و جهله من جهله لان طرقتهم مؤسسة على الكتاب والسنة غير أن من علومهم أموراً لا يمكن ان يقام دليل ولا تحد بعد.²

ثانياً: مؤلفات ثرية

تعليقات الأمير على جده عبد القادر في علم الكلام

¹ بركات محمد مراد، المرجع السابق، ص51.

² جواد مرابط، التصوف والأمير عبد القادر، دار اليقظة، سوريا، دط، 1966، ص89.

يبدو أن الأمير دون غيره التعليقات في المرحلة الأولى من حياته بعد عودته للمشرق وتأديته فريضة الحج عام 1243هـ — لان هذه الفترة كانت فترة تثقيف و مطالعة بالنسبة للأمير، فلا يستبعد أن يكون خلال مطالعته العديدة والمتنوعة وقع نظره على الحاشية خطى عليها بما يسعفه الحال والمقال وهي دليل على أن الأمير كان متمكنا في الكلام و إلا لما استطاع أن يبدي بعض الملاحظات و الآراء و التعليقات على حاشية موضوعها في التوحيد و علم الكلام.

— رسائل متنوعة: تعددت رسائل الأمير عبد القادر الى معارضة و محييه أهمها:

1. رسائل سياسية:

التي تبادلها الأمير مع رؤساء حكومات فرنسا وهي رسائل كان يتبادلها الأمير عند ما كان مجاهدا في الجزائر و أثناء وقوعه أسيرا في امبراز بفرنسا و نمتاز هذه الرسائل بالخبرة السياسية و بعد النظر في الشؤون الحربية و خاصة رسالته التي تبادلها مع الجنرال " بيجر" وهي تتسم بالشدة و الصراحة و الواقعية.

2. رسائل الأمير الى الأسقف الفرنسي دويوش: أسقف مدينة الجزائر فقد اختار عبد القادر

شريكة الاسقف في ملتقى سيدي خليفة لافكاره وتاملاته و كانت مراسلاته الامير لهذا الأسقف لا تنقطع وهذه المراسلات كلما أشار إليها الكتاب و لعلها ولوجدت نكون مصدرا لفهم روح الأمير الديني و الاجتماعية .

3. مراسلات الأمير عبد القادر مع اسبانيا و حكامها العسكريين ببليلة:

و كان قد جمعها د.ميكيل باسبانيا وقام بترجمتها و التعليق عليها الدكتور يحي

بوعزيز و طبعت بالجزائر عام 1985م بعد أن قدم لها دراسة صغيرة.

4. رسائل الأمير الى زعيم البيناني برست بك كرم:

وهي رسائل سياسية على درجة كبيرة من الأهمية و الخطورة لأنها كانت أثناء حركة عام 1294م الاستقلالية ومحاولة الولايات السورية الاستقلال عن الدولة العثمانية.

وقد شجع برست بك صديقه الأمير عبد القادر الى القيام بهذه الحركة و دعاه بالحاح شديد للقيام وحدة حربية برئاسة الأمير نفسه.¹

ثانيا: الطرق الصوفية

تعددت الطرق الصوفية بالجزائر تكونت ببعض الرباطات الجهادية التي اهتم بها العلماء والقادة نذكر منها:²

1. الطريقة الرحمانية: وهي طريقة دينية صوفية تفرعت على الطريقة الخلوتية ونسبت إلى

مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الرحمان القشتولي الجرجري الأزهري المعروف ببوقريين مؤسسها هو محمد بن عبد الرحمان بن بوست ابن أبي قاسم بن علي بن إبراهيم بن عبد الرحمان الذري يرتفع نسبه الى الحسن ابن علي بن ابي طالب و ابن السيدة قاطمة بن الرسول صلى الله عليه و سلم وهو الغوت الأكبر والمرابي الأشعر بالشيخ محمد بن عبد الرحمان القشطرلي الجرجري ولد بقرية بوعلاوة بعرض ايت إسماعيل تقع على بعد 15 كلم شرق ذراع الميزان منطقة جرجرة من الجزائر الى هذه الأرض ينسب كما لقب بالأزهري نسبة الى الأزهر الشريف الذي جاوره مدة طويلة.

2. الطريقة التجانية: أسسها في مدينة فأس في المغرب سنة 1782 احمد بن محمد المختار

التجاني المولود عام 1150 هـ / 1737م بمدينة عين ماضي ولاية الأغواط، و المتوفى

¹ بركات محمد مراد، المرجع السابق، ص54

² جاب الله طيب، الطرق الصوفية في الجزائر بين النشأة والتطور دار الفكر والإبداع، ص ص 363-367

عام 1815م وقد بدا دراسته بمسقط رأسه حيث حفظ القرآن الكريم ثم درس باقي العلوم السائدة في ذلك العصر وفي نفس المدينة لما توفي والده عام 1752 خلفه منصب التدريس و يقال انه مال للتصوف و الطريق الصوفية و عمره عشرون عاما وحينما بلغ ستة و ثلاثين من عمره اتجه نحو الشرق لأداء فريضة الحج عام 1186هـ / 1772م فاتصل أثناء سفره بابي عبد الله محمد بن عبد الرحمان الزواوي الأزهري مؤسس الطريقة الرحمانية فاحذ عنه تعاليم و أوراد الطريقة الخلوتية ولما وصل الى تونس أقام فيها سنة كاملة ثم واصل سفره الى مصر حيث انطلق من مصر نحو البقاع المقدسة فادى شعائر الحج و التقى بعدد من العلماء و يشرح الصوفية.

3. الطريقة الهبرية: تنسب الى محمد هبري ولد حوالي 1800م بالمغرب و انتشرا في تلمسان خاصة و الغرب الجزائري و الصحراء الوسطى و منها زاوية الشيخ البودالي بسعيدة وزاوية بلقايد بتلمسان.

4. الطريقة الزيانية: أسسها الحاج محمد بن عبد الرحمان أبو زيان ولد بن عبد الرحمان بن ابو زيان والمعروف باسم مولاي بوزيان في منتصف القرن 17م من أسرة للشرفه، اخذ العلم من جامعة فاس، نقي من طرف السلطان، و استقر في تنقلات تتلمذ على يد شيخ مبارك بن عبد العزيز وكان مقدم الناصرية واخذ عنه الذكر عندما ذهب الى مكة المكرمة و احتك بشخصيات و علماء و كون خلفاء مقدمين و كانت له هيبه و سلطة مغربية في كل الصحراء حتى بعد وفاته و يعتبر مولاي بوزيان المكمل لطريقة سيدي الشاذلي يردد الزيانية أوراد الشاذلية و كانت الزيانية تعنى بمراعاة و توجيه قوافل الأغنام و حمايتها من قطاع الطرق.¹

¹ المرجع نفسه، ص 365

5. الطريقة الشاذلية: أسسها المتصوف الشهير الشيخ أبو الحسن المعروف بالشاذلي

(1196م-1258م)، نسبة الى شاذلة بتونس الذي كان فيها مبدا طهوره و انتشار دعوته ولد بقرية "غمارة" القريبة في مدينة الأقصى ، و تعتبر الطريقة الشاذلية المتصلة بإمام القاسم الجنيد من اسم الطرق الصوفية، انتشرت زواياه في المشرق و المغرب و له أتباع و مريدون منتشرون في الجزائر وفي عدة أقطار أخرى و في المغرب الأقصى تعتبر الطريقة الرسمية الى جانب المذهب المالكي في الفقه و العقائد الاشعرية في التوحيد.

6. الطريقة العيساوية: أسسها الشيخ محمد بن عيسى (1872م-932هـ) الاوراسي في

مكناس بالمغرب و أواخر القرن 15م أخذه والده الى فاس لتعلم القرآن صاحب الشيخ القطب محمد بن سلمان الجزولي و اخذ عنه الطريقة، تتواجد الطريقة العيساوية بالخصوص في الجنوب الوهراني و كانت قد ظهرت عنها تحولات خاصة في فترة الاستعمار و أصبح أتباعها يضربون أنفسهم بالمدى.

7. الطريقة الحنصالية: يعود تأسيسها الى أيمن سعيد بن يوسف الحنصالي المولود في

المغرب (1114 هـ/ 1702 م) وهو من نواحي قسنطينة وهذه الطريقة تعتبر فرع من الشاذلية ولها علاقة بالرحمانية كان لشيخ الحنصلي علاقات مع شيوخ الزوايا و اسس زاوية يعلم فيها الطريقة.¹

8. الطريقة الرحمانية: يعود تأسيسها الى محمد بن عبد الرحمان الجرجي الازهري

(1208-1792) وهو من ايت إسماعيل بجرجرة و اخذ الطريقة توجه لأداء فريضة الحج، وفي عودته استقر بالجامع الأزهر فترة طويلة متردداً على العلماء وشيوخ التصوف

¹ المرجع نفسه، ص365

مثل "محمد بن سالم الحفناوي"، حيث أصبح "محمد بن عبد الرحمن مريداً وتلميذاً له حيث أدخله الطريقة الخلوتية. بالعودة إلى بلده ونشر الطريقة الخلوتية، و تفرعت من هذه الطرق العديد من الزوايا في الجزائر و تعني في معناها البسيط مكان انزواء و خلوة العباد الصالحين.¹

9. الطريقة القادرية: يعتبر الشيخ عبد القادر الجيلاني المؤسس الأول للطريقة القادرية

ولذلك نسبت اليه خاصة بشكلها الجماعي المنظم القائم على جمع المربين و ربطهم بمشايخ الطريقة من اجل تربيتهم و تاديبهم وتعتبر هذه الطريقة أول الطرق الصوفية ظهوراً في العالم الإسلامي وأقدمها و ملاحظ أن التصوف قبلها كان مقامه على أساس فردي فقط ولم يظهر بشكله المنظم إلا في عهد الشيخ عبد القادر الجيلاني، و تقوم الطريقة في جانبها النظري على التمسك بكتاب الله و سنة الرسول عليه الصلاة و السلام كما وهي بالتحلي بالأخلاق ويمكن إبراز أسسها كالتالي:

التمسك بكتاب الله و سنة النبوة الشريفة و الاخلاص والتسليم حيث يقول الشيخ عبد القادر في ذلك : " فادخل بالظلمة في المصباح وهو كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام. لا تخرج عنها فان خطر خاطر أو وجد الهام فاعرضه على الكتاب و السنة. فان وجدت فيها تحريم ذلك مثل أن تلهم بالزنا والرياء و مخالطة أهل الفسق و الفجور وغير ذلك من المعاصي فادفعه عنك واهجره ولا نقبله ولا تعمل به و اقطع الشيطان اللعين، و في موضع آخر قال: طر الى طريق الحق بجناحي الكتاب والسنة. قامت الطريقة القادرية على التمسك بأوامر الله عزوجل فحث الشيخ إتباعه على وجوب التمسك بأوامر الله عزوجل جل وتجنب الوقوع في المنكرات والرضا والتسليم بما قدره الله عزوجل، كما قامت الطريقة على السلامة من الفلسفات الدخيلة خاصة اليونانية

¹ عائشة بن سعدة، المرجع السابق، ص43

الى العربية و كثيرا ما استعمل المتصوفة بعض ألفاظ اليونان ووقعوا في دهاليز الفلسفة اليونانية و خلطوا التصوف بها.¹

قام الشيخ عبد القادر الجيلاني بوضع أصول الطريقة التي تعتمد على المجاهدة والتوكل و الشكر و الصدق و الرضا والصبر.²

اما عن دخولها الى الجزائر فيعود ذلك الى الشيخ سيدي ابي مدين شعيب بتلمسان ادخلها بعد ان تتلمذ على يد شيخها.

¹ بن رية مليكة، "الشيخ عبد القادر الجيلاني شيخ الطريقة القادرية و منهجه في اصلاح التصوف، مجلة دراسات و ابحاث ، لعدد 01، جامعة الجزائر 02، الجزائر، 2021، ص768

² العقبي صلاح مؤيد، الطرق الصوفية بالجزائر تاريخها و نشاطها دار البراق، لبنان، 2002، ص145.

خلاصة الفصل

كان الامير عبد القادر من الشخصيات المهمة في تاريخ الجزائر و القائد الأعظم لمقاومة الغزاة فيها ضد الاحتلال الفرنسي، كما انه يعد رمز من رموز المقاومة الجزائرية و من ناحية أخرى هو احد ابطال المغرب العربي و الأمة العربية.

الفصل الثاني

المبحث الأول: تصوف الأمير عبد القادر

المبحث الثاني: دوافع ومراحل تصوف الأمير عبد
القادر

تمهيد

نقصد بالحديث عن السلوك الصوفي عند الأمير؛ الحديث عن تجربة روحية، وجدانية، ذوقية، وفكرية عاشها الأمير عبد القادر ومارسها، ونظّر لها، لذا سنحاول من خلال هذا الفصل سنتعرف عن مفهوم التصوف وأهم الأحوال والمقامات الصوفية بالإضافة إلى الدوافع ومراحل التصوف عند الأمير عبد القادر.

المبحث الأول: تصوف الأول

يُعدّ التصوف أو الحياة الروحية نزعة إنسانية ظهرت تقريبا في جميع الثقافات والحضارات البشرية، وقد أفصحت فيه الروح عن شوقها وتطلعها نحو تحقيق الكمال ومعرفة الحقيقة المطلقة والاتصال بها.

أولا: مفهوم التصوف عند الأمير عبد القادر

لقد كان للأمير عبد القادر في التصوف باع طويل، ما كان يكتفي به نظرا حتى يمارس عملا ولم يكن إليه شوقا حتى يعرفه ذوقا والتصوف عنده ظاهرة باطنية أي طهارة القلب والنفس والضمير، وهو طهارة ظاهرية، أي طهارة اليد واللسان والجوارح ثم هو رحمة عالية بكل ذي كبد حي وكل شيء في الوجود تسري فيه الحياة على عقيدة أن الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله وإن الإنسان أخو الإنسان أحب أم كره ثم هو التأمل في كتاب الكون ليرتفع الناس فوق الحياة، ويتوجهوا إلى ربهم من محراب لظهر ليفيض عليهم النور المشرق¹؛

ويعتبر الأمير عبد القادر التصوف " جهاد النفس في سبيل الله، أي لأجل معرفة الله وإدخال النفس تحت الأوامر الإلهية والاطمئنان والإذعان لأحكام الربوبية لا لشيء آخر من غير سبيل الله"²، فالتصوف عند الأمير يستغرق الإسلام والإيمان والإحسان؛

ويرى الأمير أن علم التصوف علم واسع ومجال رحب، ما يجعل السالك دائم الشغف والتطلع إلى الترقى في المقامات، والتحقق بما يلي المقام الذي تحقق به، فعلم التصوف عنده هو: " ما

¹ عديلة بوشكيرو، " تجليات المصطلح الصوفي في ديوان الامير عبد القادر الجزائري"، مذكرة ماستر في اللغة العربية والأدب العربي، جامعة جيجل، الجزائر، 2014/2015، ص 59.

² رشا روابح، " التصوف عند الامير عبد القادر الجزائري وإيماده الانسانية"، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، جامعة باتنة، الجزائر، 2019-2020، ص 120

لا يقف التحقيق عند مسألة من مسائله، بمعنى أن الطالب لمسألة من مسائله إذا حققها يجعله ذلك التحقق مستعدا لما وراءها، فإذا تحقق بما استعدّ له مما وراء تلك المسألة استعد كذلك، وهكذا فلا نهاية لمسائل التصوف ومطالبه دون الذات البحت الغيب المطلق "، فالسالك الصوفي - حسب رأي الأمير - في ترقٍ دائم، وصعود متواصل في مدارج الحقائق¹؛

ويعتبر التصوف عند الأمير عبد القادر أيضا حالة نفسية تسلك لتصفية القلب من الكدر وبلوغ معالم الحق الأزلي، فقد يشعر الصوفي بحالة نفسية في معزل عن الناس، وقد اشتهرت هذه الرياضات في معابد أهل الكتاب، وقد صور الشيخ محي الدين بن عربي أحاديث كثيرة عن المعابد وأهل التصوف وقد اعترت عبد القادر التربة الصوفية وهو يطلع على مؤلفات محي الدين ابن عربي ورسالة أبي زيد القيرواني وإحياء علوم الدين للغزالي، منذ صغره يقول الأمير عبد القادر " : كنت مغرما بمطالعة كتب القوم المتصوفة رضي الله عنهم منذ الصبا"، ويقول أيضا: "كانت أقوالهم فعلا تثير العواطف الداخلية الإنسانية خصوصا فيما يعلق بحب الله، وكنت في أثناء المطالعة أكثر علت كلمات من سادة القوم وأكابرهم يقف لها شعوري وتنقبض منها نفسي....."²؛

فقد كان الأمير عبد القادر ذا نزعة صوفية رائدة كثيرة الإيمان بأقوالهم وهو القائل: "مع إيماني بكلامهم على مرادهم لأنني على يقين من آدابهم الكاملة وأخلاقهم الفاضلة"، وقد تناول الأمير عبد القادر معهم رغم تباعد صور الفكر الصوفي بنوع من العقلانية المشفوعة بحب الله

¹ المرجع نفسه، ص 121.

² الأمير عبد القادر الجزائري، "المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد"، منشورات دار النهضة العربية، دمشق، دط، 1967

تعالى، كما ناقش إشكالية التصوف أيضا من زاوية التفكير فيها على أساس المعيار الحسي الذي يعطي النفس حقها من السؤال والعقل إلا رادعا إذا خالف أسسه التي ميزها الشرع¹.

ثانيا: الأحوال والمقامات الصوفية عند الأمير عبد القادر

المقامات جمع مقام وهو الخطبة أو العظة يلقيها الرجل في حضرة الخليفة أو الملك، أما الصوفية فالمقام عندهم هي تلك المنازل الروحية التي يمر بها السالك إلى الله، فيقف فيها فترة من الزمن مجاهدا في إطارها، حتى يهيئ الله سبحانه وتعالى له سلوك الطريق إلى المنزل الثاني لكي يتدرج في السمو الروحي من شريف إلى أشرف، ومن سام إلى أسمى، وذلك كمنزلة "التوبة" الذي يهيئ لمنزلة "الورع" وهذه الأخيرة تهيئ إلى منزلة "الزهد"، وهكذا حتى يصل الإنسان إلى منزلة المحبة، وإلى منزل الرضي وهذه المنازل لا بد لها من جهاد وتركية، ولذلك يقولون عنها أنها مكتسبة، إلا أنها اجتهد في الطاعة، ومواصلة في التسامي في تحقيق العبودية لله².

أما الأحوال فإنها النسمات الروحية التي تهب على السالك، فتنتعش بها نفسه لحظات خاطفتهم تمر تاركة عطرا، تتشوق الروح للعودة إلى تنسم أريجها وذو مثل الأُنس بالله³.

وجانب الرؤية الفلسفية الصوفية للأمير عبد القادر للوجود وللإنسان، ثمة عامل آخر يحدد هذا الطابع وهو الأحوال والمقامات التي يترقى فيها الصوفي من مرتبة إلى أخرى، فبالنسبة للأمير عبد القادر، لا يتجه اتجاهها نظريا كما هو الشأن في الأدبيات الصوفية، بل إن مقاماته منطلقة من تجربته الذاتية، إذ يتحدث عن التجربة التي عاشها وخبرها، فكل موقف أو حدث من سيرته الذاتية يعتبره سلوكا على طريق الوصول إلى الحق وفي الوقت نفسه يكشف عن موقفه من الآخر حسب

¹ سامية بوعجاجة، "البعد الصوفي في شعر الأمير عبد القادر الجزائري"، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 30، كلية العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة، الجزائر، 2013، ص351.

² زكي مبارك، "التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق"، دار الكتاب و الوثائق القومية، مصر، دط2006، ص372.

³ المرجع نفسه، ص372.

تلك المرحلة التي قطعها من التدرج والترقي، من بداية مقاومته للمستعمر، ثم مرحلة توقف الحرب ووقوعه في الأسر، إلى استقراره بالشام¹.

وقد قدم الأمير عبد القادر مجموعة من الأحوال الصوفية أهمها: حال القرب، حال الخوف، حال الطمأنينة، حال الرجاء، حال المحبة، وحال المشاهدة:

1. حال القرب:

والقرب من الحق تعالى وهو قرب معنوي ولا يتم ذلك: "إلا برفع حجاب الجهل، ولا قرينا إلا العلم"، وأهل الله هم: "القريبون من الله تعالى- القرب المعنوي، المقربون عنده... الملبون دعوته، المستجيبون إلى طاعته... الداعون إلى معرفته وتوحيده على طريق الصوفية، أهل الحقيقة والسلوك والأحوال... و قطع عقبات النفوس وطي المقامات إلى ذروة العليا"، ومن هنا يمكن القول أن توحيد عند الأمير في حال القرب هو توحيد شهودي، أي أفراد القدم عن الحدوث ذوقا و الإعراض عن الحادث، و الإقبال على القديم²، والقرب قربان³:

- قرب النوافل: وهو أن يشهد العابد نفسه حال العبادة، بل وفي غيرها من سائر الأفعال والإدراك، أنه بالله، أي أنه يشهد الحق تعالى قدرته وسمعه وبصره، و جميع قواه وأعضائه الظاهرة والباطنة، فال يرى فعال له ولا لغيره ولا إدراكا إلا بالله، وهذا المقام يسمى بقرب النوافل، ثابت ذوقا ووجدانا.

¹ المرجع نفسه، ص372.

² إيمان بن احمد، " المقامات والأحوال في فكر الأمير عبد القادر الجزائري "، مجلة التكامل، العدد 03، جامعة تلمسان، الجزائر، 2018، ص145.

³ المرجع نفسه، ص146

● **قرب الفرائض:** وفي هذا المقام يشهد العابد وقواه الباطنة وأعضائه الظاهرة، آلة الحق والحق تعالى المصرف لها، المؤثر بها فيسمع بسمع العبد، ويبصر ببصره، ويتكلم بلسانه، إلى آخر الإدراكات.

ومن ثمة يشبه القرب الأول قرب المأخوذ عن ناسه أو المجذوب، الذي لا يشعر بماله ولا يدرك أخذه، ويشبه القرب الثاني قرب الفوافل الممكن في حاله المدرك، يجري عليه من تصريف للهي وتجليات ربانية.

وهذا الحال الذي يتحدث عنه الأمير من القرب بين العبد السالك وربّه، لا يعني أن يتوقف به الطريق أو ينتهي فيه إلى حد محدود، فهذا المنهج الصوفي لا نهاية له، بل هو منهج وطريق مفتوح، غير متناهي الدرجات، والسالك فيه دائماً مترق عن حاله إلى أحوال أخرى تعلوه وتسمو فوقه، ومن هنا كلما تدانت بين الأمير وبين المحبوب كما يقول الأمير، زاده هذا القرب أشجاناً وأحزاناً، فالقرب يشفي، ولا البعد ينسي، وكلما ازداد قرباً من المحبوب الأول، زاده هذا القرب عطشاً إلى المعرفة الإلهية.

2. حال الطمأنينة:

وهي وصل بين رؤية القلوب ورؤية العيان، وتتمثل في مشاهدة الأشياء بأعين الفكر وأشرف أحوالها أن تشاهد قلوب العارفين مشاهدة تثبيت فيكونوا حاضرين غائبين، وغائبين حاضرين على القواد الحق في الغيبة والحضور، فيشاهدوه ظاهراً وباطناً وأخراً وأولاً.¹

3. حال الخوف والرجاء:

ويحذر الأمير من أن يُصرف حالي الخوف والرجاء إلى غير الله من مخلوقاته فيصير شركاً،

¹ رشا روابح، المرجع السابق، ص 135.

وبابا من أبواب الجهل بالله تعالى وبتجلياته وإنكار على من يتقي ويخاف غير الله، ويرى نعمة الله من غيره تعالى فيرجوه، وإذا مسه الضر جأ إلى الله كما يجأ للبعيد منه الغائب عنه، فإذا كشف الضر عنه أشرك به، ونسب الكشف إلى غيره.¹

فكمال كل حال من الأحوال يكمن في تعلق السالك بالحق تعالى، فلا يحب المحب ولا يرجو إلا تجليات جمال المحبوب تعالى، ولا يخاف خائف إلا تجليات صفاته الجلالية تعالى، ويؤسس الأمير الأحوال على المعرفة بالله تعالى، فيؤكد أن حال الخوف—مثلا—من مقتضيات المعرفة الإلهية، "فكلما اتسع نطاق معرفة العارف اشتد خوفه، فالخوف من الله تعالى من لازم المعرفة."²

4. حال البسط والقبض:

ويرى الأمير أن السالك لا يخلو من حالتي القبض والبسط، وهما حالتين ناتجتين عن مشاهدتين :
"الأولى :مشاهدة ما من الله تعالى إليه من الستر عليه والإحسان إليه، وأنه عبد لله تعالى وسائر إليه
ولحضرته قربه، ولحسن ظنه بربه بأنه سيرحمه ويرفع حجه ويعرفه بنفسه، ويجلسه مجلس

الرضا...فهذه مشاهدة توجب...الانبساط .والثانية :مشاهدة ما منه إلى الله تعالى من سوء
الأدب، والتقصير في الأوامر، وعدم شكر النعم...وبعده من حضرة الأحاب، وتراكم الحجب،
وغلبة النفس والهوى، واستيلاء حب الدنيا والشهوات على قلبه، فمشاهدة هذه الأمور توجب
القبض."³

¹فؤاد صالح السيد، "الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا"، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1985، ص 152.

² بكري علاء الدين، " مفهوم الوراثة المحمدية وعلاقتها بالبيعة الروحية عند الأمير عبد القادر الجزائري"،دار موفم للنشر،

الجزائر، 2011، دط ، ص39

³ المرجع نفسه، ص40

ويشبه الأمير القبض والبسط بالليل والنهار، " فالقبض شبيه بالليل لما فيه من الانكماش والانقباض وسكون النفس بالقهر، الذي نزل عليها وتحققها بعجزها عن دفع ما نزل بها، فهي لا ترح ولا تسترسل في الأماني والطلب، فلا حظّ للنفس في القبض أصلاً. فلهذا كان الإنسان وقت القبض أقرب إلى السلامة، وتوفية الربوبية حقها، والأدب معها منه في وقت البسط. وأما البسط فهو شبيه بالنهار، لما فيه من نشاط النفس وتسريحها بعدم حصول قاهر لها، واسترسالها في الأماني والدعوى الباطلة... ولهذا قال بعض السادة: لا يقوم بحق الأدب في البسط إلا القليل¹.

5. حال السكر:

فهو حال يرد على العبد نتيجة غلبة شهوده لتجليات الله تعالى الجمالية والجلالية والكمالية. ويتكرر هذا المعنى في أشعار الأمير بشكل يوحي إلى أنه كان بالفعل يعيش ذلك الحال، بل ويشير أنه قد تجاوز حال الحلاج في السكر، ويوضح الأمير معنى شرب الخمر عند القوم قائلاً: "وشرب الخمر: علم مخصوص بالأنبياء- عليهم السلام -في الدار الدنيا، فلا يُسقى غيرهم منه. وذلك لما خصّهم الله تعالى به من القوة على حمله وإطاقتهم له، فلا يخلّون بشيء من الأوامر والنواهي الشرعية الظاهرة. ولو سُقي غيرهم من هذا العلم ما أطاق حمله، ولا خلّ بالأحكام الظاهرة. وفي الدار الآخرة يكون للأولياء السقي منه، كما أخبر تعالى"²، فالسكر عند الأمير هو حال حاصل عن غلبة مشاهدة تجليات الحق تعالى، إلى درجة لا يشعر فيها صاحبه بمن حوله، فيغيب عن كل ما سوى الحق تعالى، مثله مثل صاحب السكر المحسوس الذي لا يعي ولا يشعر بمن حوله.

6. حال المحبة:

¹ المرجع نفسه، ص40

² رشا روابح، المرجع السابق، ص 171.

لقد م لأ الأمير قلبه بمعرفة الله ، وهام بمحبته ، هذه المحبة الإلهية التي عرف حلاوة مذاقها ونعمة عطائها، فلا يستطيع أن يسلوها و أن يبتعد عنها ، هي محبة ملكت عليه قلبه، فأشعلت فيه نار الشوق لمعرفة الحبيب ، وازدياد الشوق والمحبة، و المحبة عند الأمير درجات ومراتب، وأعلى مراتبها محبة الله للمجاهدين ، الذين جاهدوا الجهاد الظاهر ، و الجهاد الباطن في سبيل معرفة الحبيب الأول ، واجب الوجود و هذا الحديث نلتمسه في قوله "فأي منقبة أعظم ومكرمة أفخم من محبة الله تعالى للمجاهد وهي محبة خاصرة بالمجاهدين لها آثار في الدنيا و الآخرة ، كما أن محبة المجاهدين له تعالى محبة خصرة زائدة على محبة المؤمن غير المجاهد لظهور آثار المحبة من الجانبين"¹؛ وتشبه المحبة عند الأمير النوع الثاني من أنواع المحبة التي أشار إليها الطوسي في كتابه "اللمع" وهو الذي يتولد من نظر القلب الى غناء الله و جلاله وعظمته وعلمه وقدرته ، وهذا النوع من المحبة هو حب الصادقين والمتحققين ، أما عن شروط هذا النوع فهي هت ك الأستار وكشف الأسرار وهي أيضا محو الإرادات واحترق جميع الصفات والحاجات ويعجب الأمير عبد القادر في هذا الصدد من صبر هؤلاء المحبين على أسرار المحبة الإلهية التي أوتمنوا عليها ، بحيث أنه حين يبلغ السالك هذا المستوى من المحبة و العشق الإلهي ، الذي يستوي عنده "شهيد المعترك و شهيد المحبة اللذان يستتر عنهما الوجود المجازي و الحياة الفانية ، ويحصلان على الوجود الحقيقي و الحياة الباقية بخلاف غيرهما من الأموات"².

7. حال المشاهدة:

وهذا الحال من المشاهد قد حققه الأمير، بعد أن مارس فنون المجاهدة ، وما كان ليطمئن الى صدق إيمانه ولا بتحقيقه لهذا الحال ، فالمشاهدة هي تحقيق الإيمان بالمعانية، وهي ما عناه الغزالي في مؤلفاته الصوفية (بعين اليقين) الذي يرتاع مستواه فوق درجة الإيمان الذي هو علم اليقين ، وعليه فالمشاهدة هي درجة العبادة لله بالإحسان ، ولذلك لا يطمئن الأمير الاطمئنان الكامل إلا بالشهود

¹ المرجع نفسه، ص144.

² الأمير عبد القادر الجزائري، المرجع السابق، ص118.

وهذه الحالة هي النوع الثالث من أنواع الهدى ، التي أطلق عليها اسم (الأعظم هدى) ، بحيث لا ينال هذه المرتبة إلا إذا حصلت له الهداية بالكشف و العيان.¹

كانت هذه أبرز الأحوال التي تطرّق إليها الأمير في مواقفه، وقد تبين لنا أنه كان صاحب حال، فكل ما ذكرنا من أحوال عاشها الأمير وتحقق بها- كما صرح -حتى صارت مقامات ثابتة، لأن الحال إذا ثبت وترسخ صار مقاما . ولم تكن هذه الأحوال هي فقط التي عاشها وضمّنها مواقفه، وإنما ذكر أحوالا أخرى كالجمع الفرق، والحو والإثبات، والأنس، والشوق .. وغيرها، لكن لم يفصل فيها كما فعل مع الأحوال التي ذكرها، وإنما ذكرها بشكل سطحي في معرض الحديث عن مواضيع أخرى . وبعد التجول بين ثنايا الأحوال الصوفية عند الأمير، نتقل فيما يلي إلى التعرف على أبرز المقامات التي تحدّث عنها، ومدى تحقيقه بها:

1. مقام التوبة:

أجمع الصوفية على أن التوبة أول مقام من المقامات التي ينبغي على السالك المنقطع الى الله أن يطلبه ثم يتخطاه الى ما بعده، فهي الأساس لكل المقامات التي تليها ، و للتوبة مقدمات و غلامات ثم ثمرات ، أما مقدماتها فهي انتباه القلب على غفلته و ندمه على ما ارتكب من آثام ومعاصي و غفلته عن الحق ، و أصحابها البعد عن الشرور الآثام ، وأما ثمرتها الرجوع الى الله ومحبه و ما يتبع ذل من دخول العبد في رحمة الله و رضاه و الخروج من المعاصي و الذنوب وابتعادها عن المرء.²

2. مقام التوكل:

عند الأمير فهو ليس إلا الثقة و الطمأنينة، لا ترك الأسباب مع الشرك والاضطراب، فليس هذا من التوكل المطلوب في شيء ، ولو كان ترك السبب و الحركة توكلا للزم مثل وضع الخبز

¹ محمد مراد بركات ، المرجع السابق ، ص 75

² عبد الحليم محمود، "قضية التصوف"، دار المعارف، القاهرة، دط، 1988، ص 141.

بين يدي هذا المتوكل أن إلا يتناوله و يرفعه الى فيه ، فإن هذا سبب و حركة لو صرول الخبز الى بطنه ، ولذا وضع الخبز في فيه يلزمه أن لا يمضغه ولا يحرك لسانا وال غيره ، فإنها كلها أسباب لوصول الرزق الى البطن¹.

ومن ثمة فقد اختلف الناس في مفهومهم لارتباط التوكل بالسبب، وهم على ثلاثة أقسام : متسبب صرف نظره مقصور على السبب و قوته و ضعاه فهو أعمى، ومتوكل فرف معرض عن الأسباب ظاهرا و باطنا ، وهو صاحب حال لا يقتدي به و لا يحتج عليه، ومتسبب بظاهره ، متوكل بباطنه ، يده في السبب، وقلبه متعلق بخلق السبب ، ظاهر لظاهر، وباطن لباطن، وهذا هو الكامل الناظر بعينين، من هنا يتضح لنا أن التوكل عند الأمير عبد القادر هو مقام المتسبب ظاهريا، و المتوكل باطنيا هو أن يكون ظاهره يوحي بتعلقه بالأسباب ، وباطنه القلبي متعلقا بخالق الأسباب ورب الأسباب. لذا فقد دعا الأمير عبد القادر الى لثبات الأسباب من "حيث أثبتتها الحق - تعالى- امثالاً للأوامر ولتباعا للحكمة، ولا تعتمد عليها من حيث أنها أغيار للحق تعالى ، وشاهد وجه الحق فيها ، فال بد من الأسباب وجودا و الغيبة عنها شهود"².

3. مقام اليقين:

يرى الأمير بأن اليقين مرتبة رفيعة لا يقبل صاحبها الزيادة في مشهوده، واليقين ثلاث مراتب هي : علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين

فحين يكشف الحق تعالى للمؤمن العامل عن بواطن الأمور وحقائق الأشياء، فيرفعه من مرتبة الإيمان الذي هو تصديق المخبر فيما أخبر به، وهو علم اليقين إلى عين اليقين، وحق اليقين، فيصير ما كان إيمانا شهادة وعيانا، وهذه هي زيادة الهدى، وهي المعبر عنها بزيادة الإيمان. والفرق بين هذه المراتب، هو أن علم اليقين يحتاج في إثباته إلى دليل ويقبل التشكيك، وعين اليقين يحتاج

¹ سامية بوعجاجة، المرجع السابق، ص 144.

² عبد الرزاق بن السبع، المرجع السابق، ص 154.

إلى دليل ولا يقبل التشكيك، وحق اليقين لا يحتاج إلى دليل ولا يقبل التشكيك. وجميع علوم الأذواق، وهي العلوم الحاصلة بالتجليات لمن شاء الله من عباده من القسم الثالث¹.

4. مقام الورع:

و المقصود بهذا المقام عند الأمير أن يتقى الإنسان الله في كل أفعاله، أي على المرء أن يراعي الله في سلوكه و أن يدرك تمام الإدراك أن الله عالم مطلع على كل فعل يقوم به ، أي أن كل أمر من الأمور التي تحوم حوله من الشبهات ينبغي على المرء أن يتعد عنه، وفي هذا السياق قد ذهب بعض الصوفية الى أن الورع يعني ترك شؤون الدنيا و الإهتمام بشؤون الآخرة ، حيث يشغل المرء حينئذ قلبه بالله فحسب².

5. مقام الزهد:

فقد شكلت هذه الميزة محطة كبرى في ملامح شخصيته ، حيث يعكس ميل الأمير عبد القادر الى الزهد و استغراقه في التأمل لنوعية ثقافته ونظراته للوجود ، و تقسيمه للعلاقات الإنسانية وموقفه من الأديان ، كما نجده واضحا فيما آلاه في التصوف ، العقيدة و الخالق، كما لم يكن مبذرا في صباه ولا أمثال امتلاكه لسلطة الإمارة ، ولا في أسرهِ رغم كل المغريات التي عرضت عليه ولا في هجرته مستأمنا وهو الذي كان يدخل الخلوة أربعين يوما على قطرات من الماء وعلى لوزة وتمرّة كل يوم³. وعلى ضوء هذا الموقف ، يبدوا لنا مفهوم التصوف العملي و الجهادي عند الأمير عبد القادر فليس التصوف تواكل ، وتكاسلا ، وتخاذلا ، بل التصوف عنده فتوة ومرابطة وجهاد في سبيل الله⁴.

6. مقام التقوى:

¹ محمد مراد بركات، المرجع السابق، ص175.

² فيصل بدير عون، "التصوف الاسلامي الطريق والرجال"، مكتبة سعيد رأفت، دط، القاهرة، 1983، ص117

³ المرجع نفسه، ص154.

⁴ فؤاد صالح السيد، المرجع السابق، ص150

يرى الأمير أن النداء في هذه الآية عام موجه إلى جميع الناس، جنّهم وإنسهم، مؤمنهم وكافرهم. وبناء على هذه الآية، يقسم التقوى إلى نوعين: "تقوى له، وتقوى به". أمر الحق تعالى الناس أن يجعلوا نفوسهم وقاية لربهم في موطن وحال، وأن يجعلوه تعالى وقاية لهم في موطن وحال.¹

7. مقام الصبر:

أما عن مقام السابغ الذي هو مقام الصبر، والذي يقتضيه الفقر، لأن الفقر يتطلب من الإنسان تضحيات كثيرة، منها ما هو متعلق بالناس، ومنها ما هو متعلق بالبدن، كما أنه لا يستطيع المرء أن يتحمل هذه التضحيات بنفس راضية وإرادة لا تلين إلا إذا كان صابرا، والصبر بلا شك مقام من المقامات التي يصل إليها الصوفي بجهد وجلده من ناحية، وبتوفيق الله إياه من ناحية أخرى.²

كانت هذه هي أبرز المقامات التي تناولها الأمير بالشرح، وإن كان قد أشار إلى مقامات أخرى، كالشكر، والفقر، وغيرها، ولكن لم يفصّل فيها بالشكل الذي يسمح لنا بإيرادها هنا، فقد كانت إشارات لها سطحية، ولم تحظ بعناية كما حظت هذه التي ذكرناها.

المبحث الثاني: دوافع ومراحل تصوف الأمير عبد القادر

أولا: دوافع تصوف الأمير عبد القادر

وقد دفعت الأمير إلى هذا العلم التصوف عدة أسباب، ولمعرفتها يجب الرجوع قليلا إلى الوراء لتتبع حياته خطوة خطوة، حتى يتسنى لنا الوقوف على أهم الأسباب والدوافع على سلوك

¹ بكري علاء الدين، المرجع السابق، ص 41.

² المرجع نفسه، ص 119

هذا الطريق الصعب الجليل ولا يأتي هذا إلا بالعلم والعبادة ومن أهم دوافع التصوف عند الأمير عبد القادر مايلي:

1. التربية الدينية:

شب الأمير عبد القادر في جو تربوي ديني، فهو ابن الزوايا والطرق، فقد نشأ نشأته الأولى في مدرسة الزاوية التي كان والده أنشأها، وتلقى مبادئ العلوم الدينية والفقهية فيها، كان طموحه الأكبر في شبابه أن يصبح مرابطا مثل والده الذي كان يحبه، ويتحمس له تحمسا بلغ حد العبادة، "ولم يخطر بباله قط بأنه سيتحمل ثقل أمانة الإمارة وقيادة الشعب فالظروف والأحداث هما اللتان أجبرتاه على ذلك، وإن دوره الحقيقي لم يكن إقامة دولة، بل العبادة والتجرد والبعد عن هذا العالم¹.

2. انتماءه الى آل البيت النبوي:

وهو النسب العفوي الطبيعي الذي لا إرادة للأمير به وقد تمسك مؤرخوه بهذا النسب الجسدي فأطنبوا وأفاضوا في ذكر نسبه النبوي الشريف، فتارة عندهم الحسن وتارة الحسين، وكما كان لنسبه الشريف أثر كبير في سلوك الأمير سبيل التصوف، وقد افتخر به في قصائده الفخرية الحماسية، إلا أنه لم يكتف بهذا النسب وحده، فسعى إلى الجمع بين البيتين النبوي والإلهي حيث يقول: "إذا كانت عنايته تعالى بأهل البيت النبوي كما أخبر، فما ظنك بعنايته تعالى بأهل البيت الإلهي وهم المعنيون"².

3. عزلته في أسره بامبواز:

¹ أبو القاسم سعد الله، "تاريخ الجزائر الثقافي"، الجزء الأول، دار البصائر، ط خاصة، الجزائر، 2007، ص15

² فؤاد صالح السيد، المرجع السابق، ص119.

تعتبر هذه العزلة من أسباب تصوف الأمير، بسبب كونه محطة هامة من أهم المحطات التاريخية في تصوفه، إذ لما ضاقت عليه الأجواء وتبدل حاله إزاء العزلة كان يشغل نفسه بالدعاء والتضرع ، حيث ترد عليه الواردات في الوقائع مشيرة وآمرة بالصبر¹.

4. نزعتة الإنسانية:

وهي السبب الإرادي الحقيقي الذي أراده الأمير عبد القادر أن يكون صلة الوصل بينه وبين أخيه الإنسان شرقيا كان أم غربيا أو أوروبيا أو مسلما أو مسيحيا، إذ أن أساس الديانة وأصولها خلاف فيها بين الأنبياء، من آدم إلى محمد عليه الصلاة والسلام فكلهم يدعون الخلق إلى: توحيد الإله وتعظيمه، وإن المتأمل في التسامح الديني الذي عرف به الأمير في أثناء وجوده في الجزائر وخارجها منفيًا، يدرك أن الرجل كان على مستوى من الوعي الإنساني المتفهم لحقيقة الإنسان والإنسانية التي لا تؤمن بالحدود والحواجز والعراقيل بين البشر.²

5. تركه للحياة السياسية والعسكرية بعد استسلامه:

إن المرحلة الثانية من مراحل حياة الأمير عبد القادر وهي مرحلة جهاده التي امتدت من عام 1246 إلى عام 1264 هـ 1830 / إلى 1847 م قد استنفدت الكثير من تفكيره، فانحصر تفكيره في الأمور السياسية والعسكرية ولا يتخطاها إلا في القليل النادر، ولكن دخوله في معترك الحياة السياسة والعسكرية، كان مفيدا جدا فقد أوجد له بديلا من فقدان نشاطه الأدبي والعلمي وهو في فتوته ومرابطته وهما حركتان من أشد الحركات ارتباطا بالتصوف³.

¹ المرجع نفسه، 125

² عديلة بوشكيرو، المرجع السابق، ص 63

³ المرجع نفسه، ص 63.

ثانيا: مراحل تصوف الأمير عبد القادر

لكي تتضح لنا معالم التجربة الصوفية لدى الأمير، يجدر بنا بداية تتبع المراحل الزمنية التي

تحكم سيرته الذاتية .وقد وجدنا أن التصوف لم يكن شيئا عارضا أو حادثا في حياة الأمير، بل كان منقوشا في كل صفحات سيرته، منذ ولادته إلى وفاته .ويمكن تقسيم مساره الروحي إلى ثلاثة أطوار: مرحلة التمسك، ثم مرحلة التَّنسك، ثم مرحلة التحرر والفتح المبين.

1. مرحلة التعلق (التمسك):

تبدأ هذه المرحلة من ولادته (1222هـ – 1807 م) ثم طيلة فترة إمارته إلى أن تنتهي سنة

1147 م ، أي طيلة الأربعين سنة الأولى من حياته، وفي هذه المرحلة كانت بدايات تعلقه

بالتصوف وتمسكه به من خلال التعرف على مضامينه ومضائه ورجاله .فقد وُلد الأمير ونشأ في بيئة صوفية، وبيت صوفي، ووالد صوفي بل وزعيم رُوحِي وشيخ الطريقة القادرية بالجزائري، التي كانت بدايات الأمير التعليمية في زاويتها¹.

وقد استفاد الأمير الكثير في التصوف والحديث من الشيخ خالد النقشبندي* الذي كان علامة في الفقه والحديث علاوة على إمامته في التربية الروحية .ولعمق علاقة الأمير بالشيخ خالد فقد أثرت فيه وفاته تأثيرا بليغا لم يهون عليه ذلك إلا استئناسه بالحضرة المحمدية صلى الله عليه وسلم فيروي لنا الأمير أنه حين وصل المدينة المنورة وزار صاحب الروضة المشرفة صلى الله عليه

¹ عبد الباقي مفتاح، "مواقف الأمير وتاريخ الجزائري النقابي" دار الوعي للنشر، دط، 1991، ص45

* ولد خالد النقشبندي في قرية بامرني التابعة لقضاء دهاوك، ووالده هو عبد الغفار بن عبد الرزاق بن الشيخ محمد بن الشيخ طاهر النقشبندي، وأصلهم من قرية بنستان في منطقة ريكان. ينتمي لعائلة متدينة كان العديد من أفرادها من كبار مرشدي الطريقة النقشبندية

وسلم جاءه نعي شيخه خالد- رحمه الله-، فقال: "صلى عليه أهل الحرمين مشفقين عليه مترجّين بركته غير معوض، وكان المصاب بموته جليلاً والتفجع عليه جميلاً"¹.

ولقد كان تعرّف الأمير على علم التصوف مبكراً ومنذ بداياته التعليمية الأولى، بداية من كتاب "إرشاد المريدين" لوالده- رحمه الله -، كما اطلع على منظومة جد جده "أحمد المختار" المسماة بـ "عقد جواهر المعاني في مناقب الغوث عبد القادر الجيلاني" التي شرحها الإمام اليوسي كما أشار الأمير نفسه في كتابه المواقف إلى ميوله المبكر لمطالعة كتب التصوف فقال: "كنت مغرماً بمطالعة كتب القوم [يقصد الصوفية] رضي الله عنهم، منذ الصبا، غير سالك طرقهم، فكنت أثناء المطالعة أعرّ على كلمات تصدر من سادات القوم وأكابرهم يقفّ منها شعري، وتنقبض منها نفسي، مع إيماني بكلامهم على مرادهم، لأنني على يقين بآدابهم الكاملة، وأخلاقهم الفاضلة"².

وبالفعل، فقد وجد الأمير من الصوفية من يسانده في قضيته من شيوخ الصوفية حتى من

خارج الوطن، مثل شيخ الطريقة الحراقية الدرقاوية في المغرب "الشيخ محمد الحراق التيطواني"، وغيره ومن مصر: شيخ الأزهر وشيخ الطريقة الشاذلية الإمام محمد عlish، وابنه عبد الرحمان.

2. مرحلة التخلق (التنسك)

تتميز هذه المرحلة بفترة سجن الأمير عبد القادر ثم سنواته الأولى في الشام

أ. فترة سجن الأمير عبد القادر (1847-1852): بعد أن وصل الأمير في مقاومته إلى طريق مسدودة وحلول عقيمة بسبب غدر الأعداء (الاحتلال الفرنسي) وتواطؤ الأصدقاء (بعض القبائل

¹ المرجع نفسه، ص46.

² رشا روابح، المرجع السابق، ص 99

وسلطان المغرب)الذين حاربوه بسلاح المحتل ! عقد اجتماعا طارئاً مع قادات دولته للمشورة، واقترح عليهم فكرة وقف الحرب والهجرة إلى بلاد إسلامية، لأنه كما قال:"يستحيل عليّ العيش ولو للحظة واحدة تحت راية ليست راية بلادي الإسلامية، وليست راية دولتي"، فوافق الجميع على اقتراحه.¹

وبعد أن عرض الأمير اقتراحه على الفرنسيين قبلوا به ولكن كعادتهم غدروا به ونكثوا عهدهم؛ فعوض من أن تتجه البارجة التي تحمل الأمير ومن معه إلى المشرق، توجهت إلى فرنسا، فقضى الأمير خمس سنوات بين سجون فرنسا، غير أن الأمير لم يستسلم للقنوط بل جعل سجنه خلوة للتأمل والتفكير الروحاني العميق. فكان يقضي أوقاته مشتغلاً بأنواع العبادات والقربات.²

فبالرغم من أن الأمير عبد القادر كان قمة ضعفه سجيناً، كان في قمة قوته النفسية والروحية، بحيث لم تهتز فتوته الصوفية وشهامته الهاشمية"، فحين زاره الجنرال "دوماس" من أجل أن يعرض عليه إغراءات فرنسا الدنيوية المتمثلة في منحه كامل الأبهة التي تستلزمها حياة سلطان في مقابل التنازل عن الوعد الرسمي الذي أعطاه له حكام فرنسا مقابل وضع حد لجهاده، فرفض الأمير رفضاً قاطعاً، وطلب من دوماس أن يحتفظ بمواهبه الدبلوماسية ولا يمددها معه عبثاً، لأنها لن تجد معه نفعاً، فهو العابد الزاهد وهو في عز ملكه، فكيف وهو في أيدي أعدائه؟³

ب. فترة إطلاق سراح الأمير عبد القادر (1852-1862): في هذه المرحلة اتسعت علاقات الأمير بكتب التصوف وشيوخه، فأضاف إلى طريقته القادرية الطريقة المولوية نسبة مؤسسها" مولانا جلال الدين الرومي، عن الشيخ "درويش صيري"، وفي هذه الفترة تمكّن من الاطلاع على كتب

¹ بديعة الحسني الجزائري، "وما بدلوا تبديلاً"، دار الوعي، الجزائر، دط، 2012، ص 174.

² المرجع نفسه، ص 175.

³ الأمير محمد سعيد، "مذكرات الأمير عبد القادر الجزائري"، ط2، مؤسسة الأمير عبد القادر الجزائري، دمشق، ط2،

الشيخ الأكبر، فكان أول ما قام به حين نزل دمشق هو زيارة مقام الشيخ الأكبر، ونزل مسكنه الذي عاش وتوفي فيه، حيث يقول ابنه "محمد باشا" في سياق وصفه لاحتفال الدمشقيين بمجيء الأمير: "وسار الأمير في ذلك الموكب العظيم بين تلك الجموع... إلى أن نزل عند ضريح العارف بالله تعالى الشيخ الأكبر، والكبريت الأحمر، سيدي محيي الدين بن العربي رضي الله عنه، وبعد أن زاره وتبرك به، توجه إلى المحل المعدّ لتزوله بدار عزت باشا الرئيس". وهناك انكبّ على دراسة كتب الشيخ الأكبر وتعمق في عرفانه¹.

3. مرحلة التحقق:

تُعتبر هذه المرحلة أغنى مراحل تصوفه من ناحية النتاج الأدبي والفكري، فبعد أن طاف الأمير وجال بين مختلف العلوم والمعارف، وبعد أن تعمق في التصوف دراسة وممارسة، وصل إلى مثل ما وصل إليه الإمام أبو حامد الغزالي - رحمه الله -، حيث أدرك بأن الخلاص يكمن في سلوك طريق القوم، فقال: "إن كل من لم يسلك طريق القوم، ويتحقق بعلومهم حتى يعرف نفسه، لا يصح له إخلاص ولو كان أعبد الناس وأورعهم وأزهدهم وأكثرهم تدقيقاً وبحثاً عن دسائس النفوس وخفايا العيوب. فإذا رحمه الله تعالى بمعرفة نفسه صح له الإخلاص²".

وبناء على لزوم الأخذ عن شيخ مربّي للاستعانة به على عوائق الطريق، فإن الأمير لم يهناً

له بال حتى التقى بمن يتوّج له طريقه، وكان ذلك في مكة المكرمة خلال حجه وعمره 57 سنة، حين أخذ الطريقة الدرقاوية الشاذلية عن الشيخ "محمد بن مسعود الفاسي"، ذلك الشيخ الذي كان هبة إلهية إلى الأمير ليتحقق بكمال المعرفة والولاية. وأهم ما دفع بالأمير لأن يسلم زمام سلوكه الروحي للشيخ "محمد الفاسي" هو تطابق المنهجين الروحانيين العرفانيين: الدرقاوي والأكبري، وبالرغم من أن الأمير قد اجتاز عدّة أشواط في سلوكه الروحي، إلا أنه كان مدركاً

¹ المرجع نفسه، ص151.

² أبو قاسم سعد الله، "تاريخ الجزائر الثقافي"، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991 ط1، ص183.

بأن الطريق يستلزم شيخا عارفا بالمسالك ليقيه في طريقه المهالك— على حد تعبير ابن عاشر—، فقضى عاما ونصف عام بإشراف شيخه متجردا للذكر والعبادة.¹

وحتى بعد انتقاله إلى المدينة، واصل الأمير خلوته لمدة شهرين متتاليين. محل لصيق بجدار المسجد النبوي "فقويت بها معارفه، وزكت عوارفه، وانكشفت له الحقائق القرآنية والأحاديث النبوية... واستمر الأمير مدمنا على أداء وظيفة أوراده في الخلوة والجلوة لم يلحقه في ذلك فتور". وهكذا رجع الأمير إلى دمشق وهو شيخ عارف كامل واصل، متشبع بمختلف المشارب الروحية؛ القادرية والمولوية والنقشبندية والأكبرية والشاذلية، وهناك بدأت أنوار سلوكه الصوفي تسري إلى غيره، من خلال مهام التربية والتدريس التي بقي ملتزما بها إلى أن وافته المنية— رحمه الله—.

كانت هذه المراحل التي مرّ بها الأمير في تصوفه تعالقا وتخلقا وتحقيقا، وقد اتضح لنا أن التصوف لم يكن شيئا عارضا أو دخيلا في حياة الأمير بل كان متجذرا في تربيته الأسرية، وزاد هو في تنميته وتعميقه من خلال التعرف على مضامينه، والتخلق بمبادئه، والتحقق بمعارفه، إلى أن صار واحدا من كباراه في عصره.

¹ المرجع نفسه، ص 184.

الخلاصة

و بناء على ما سبق بداية من تعريف التصوف عند الأمير عبد القادر الى غاية مراحل تصوفه يمكن القول أن الأمير عبد القادر هو صاحب تجربة صوفية خاصة تجمع التصوف في مجموعة من المراحل التي تبين أهم بداية له مما يحفز القارئ الاطلاع على تفاصيل هذا الشق مما يقودنا الى معرفة تفاصيل التصوف عند الأمير عبد القادر.

الفصل الثالث

المبحث الأول: شعر و نشر الأمير عبد القادر
المبحث الثاني: رموزة الدلالة الصوفية للأمير عبد
القادر

تمهيد

نشأ الأمير عبد القادر في أسرة محافظة غرست في نفسه حب العباد والتقوى والزهد ، فلا عجب أن نراه يتجه منحى التصوفي في مختلف مراحل عمره، فاستمد أقطاب التصوف من أساتذة وعلماء محبة لهم وإرضاء لهوى في نفسه، كما يقدم العديد من الدلائل التصوف كالخمرة والغزل الصوفي ووحدة الوجود ...، من العلامات البارزة في التصوف، وسنعمد من خلال هذا الفصل إلى استعراض تجربة التصوف عند الأمير ونظراته وفلسفته من خلال بعض الشواهد التي طرحها في شعره ونثره وأهم رموزه الصوفية.

المبحث الأول: شعر ونثر الأمير عبد القادر

نشأ الأمير عبد القادر في أسرة دينية محافظة غرست في نفسه حب العبادة و التقوى ولذلك فلا عجب ان نراه بين منحنى صوفيا في مختلف مراحل عمره، فاتخذ أقطاب الصوفية من أساتذة و مشايخ يمدحهم، كما يعرض الكثير من القضايا الصوفية كالخمر والغزل و الوجود و غيرها.

أولا: شعره

وبالنسبة لأشعار الأمير فهي موزعة بين ديوانه الذي ضمّ 23 قصيدة وتهجيرة صوفية، وبين كتابه المواقف الذي احتوى فقط على الشعر الصوفي. والحقيقة أن الأمير عبد القادر بأشعاره لم يكن عنوانا على جودة الشعر في ميزان النقد الدقيق ولكن جاء شعره كمعاركه بسيط التخطيط، تلقائي التزعة صادق الدلالة... وحاول أن يُكسب الشعر المكانة اللائقة المحببة إلى قلبه، على الرغم من اهتزاز جانبه الفني في أكثر من موقف¹.
والشعر الصوفي عند الأمير عبد القادر هو تلك القصائد التي اتجه فيها إلى الحديث عن القضايا التي عرفت في الفكر الصوفي كـ: "الغزل الإلهي" و "الخمرة" الإلهية " و"وحدة الوجود" بما فيها " الوجود المطلق " و " وحدة الشهود " إضافة إلى " المدح الصوفي". ولم يكن الأمير منفردا بهذه الدلائل من الشعر الصوفي، إنما سبقه لها العديد من الشعراء، فهو مقلد للأقدمين في هذه الموضوعات²، وهنا سنتطرق الى أهم الدلائل الصوفية في شعر الأمير عبد القادر مايلي:

¹ رشا روابح، المرجع السابق، ص381.

² عديلة بوشكير، المرجع السابق، ص64

1. المدح الصوفي:

ومن بين الدلائل الصوفية التي لجأ إليها الأمير نجد المدح الصوفي وله في ذلك قصيدة واحدة تعتبر من أوائل القصائد التي مدحت شيوخ الطرق الصوفية في المغرب، حيث مدح فيها الشيخ محمد الفاسي*، وهي من أطول وأشهر قصائده في التصوف، تبلغ مائة وأحد عشر بيتا، صور فيها فتوحاته الربانية، ومدح شيخه الذي التقى به في مكة واخذ عنه الطريقة القادرية كما ضمنها الكلام عن الخمرة الإلهية¹، والقصيدة بعنوان

"أستاذي الصوفي" صور لنا في بدايتها حيرته وحالته قبل لقاء شيخه الصوفي² ويقول:

أمسعود جاء السعد والخير واليسر ***** وولت جيوش النحس ليس لها ذكر

ليالي صدود وانقطاع وجفوة ***** وهجران سادات فلا ذكر الهجر

الى أن يقول:³

أسائل كل الخلق هل من مخبر ***** يحدثني عنكم فينعشني الخبر ثم يأتيه

وقد بلغ إعجاب الأمير بشيخه فخصه بهذه الأوصاف، لعلو شأنه وسموه، فيقول:⁴

محمد الفاسي له من محمد ***** صفي الإله الحال والشيم الغر

بفرض وتعصيب غدا أرثه له ***** هو البدر بين الأوليا وهم الزهر

* محمد محمد الفاسي من بين الموقعين على وثيقة 11 يناير للمطالبة باستقلال المغرب، وهو أول وزير تعليم للمغرب بعد الاستقلال، وأيضا أول وزير للتعليم في تاريخ المغرب

¹ فؤاد السيد، المرجع السابق، ص 125.

² الأمير عبد القادر: ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، تح و تع: زكريا صيام، المؤسسة الجزائرية للطباعة،

دط، 1982، ص 183

³ المرجع نفسه، ص 184

⁴ المرجع نفسه، ص 185

فهذه المناقب التي اختص الله بها هذا الصوفي تغنيك عن الاستشهاد بغيرها، فقد بلغت الكمال والتمام، فهي أشبه بروضة تساقطت عليها قطرات ماء، فتفتحت أزهارها وتضوع عبقها عن رائحة المسك والكافور والعطر"، فيقول في هذا¹:

تضوع طيبا كلّ زهر بنشره ***** فما المسك ما الكافور ما الند ما العطر

والأمير لم يتطرق في مدحه الصوفي إلى النواحي المادية مطلقا، فلم يمدح شيوخته بأوصاف مادية كالجمال، والجاه والسعة وغيرها من الفضائل الجسمية العرضية، بل أكد في مدحه الصوفي على النواحي المعنوية الخلقية لا إذ قال في ذلك على غير أنواع المدح الأخرى، فكيف يمكن للأمير أن يمدح شيخه بفضائل دنيوية مادية عنه²:

وما زهرة الدنيا بشء له يرى ***** وليس لها يوما بمجلسه نشر

كما تعرض الأمير في قصائده المدحية الصوفية إلى مدح الشيخ محمد الشاذلي القسنطيني، بقصيدة ميمية وقد نظمها بمناسبة لقائه لأول مرة، وقد تعرف إليه الأمير خلال فترة وجود هذا الأخير أسيرا في أمبواز بفرنسا، وقد أكد الأمير في مدحه للشيخ على ثلاثة أمور هي كما يلي: جلاء الاحكام والأحزان التي لازمت الشاعر في أسره، والمحبة المتبادلة بينهما ثانيا ومرتلة الشاذلي من ابن عربي ثالثا، إذ يعبر الأمير عن مرتلة الشاذلي في عصره أنها قرية الشبه من مرتلة محي الدين ابن عربي، قطب العارفين، فمكان الشاذلي العلي، فلا يدعي هذه المكانة أحد ولا يزاحمه أحد لأن غيره غير جدير بهذه المكانة السامية، فيقول³:

أسمي قطب العارفين لك العلا ***** متبوعا منه أجل معالم

¹ عديلة بوشكير، المرجع السابق، ص66

² الأمير عبد القادر، الديوان، تحو و تع: العربي دحو، مؤسسة جائزة بن عبد العزيز سعود، دار البابطين، الكويت، دط، 2000، ص110

³ فؤاد السيد، المرجع السابق، ص240

أنت الذي في الفضل أصبح مفرداً****لعلاه ما من مدع ومزاحم
2. الغزل الالهي:

من الدلائل الصوفية التي استعملها الأمير في شعره " الغزل الإلهي " إذ أنه حين دراسة هذا الرمز فإنه يصعب علينا لفصل أو التمييز بين شعر الغزل العذري والغزل الإلهي، نظراً لاستخدام الشعراء لنفس الألفاظ التي توحى بالحب العذري¹. والشعراء الصوفية في هذا الغزل يرمون إلى معان متدفقة بدافع الحب والغرام الإلهي، إذ أن الأوصاف الحسية، لا تساعد ولا تناسب الموصوف ولا حال الواصف فالواصف أسكره الوجد، وغيبه الغرام وقتله الحب فيصف الخمر ويقصد الخمر الإلهي ويتيم بلبني وسعدى، ويقصد الذات العليا.

وعلى هذا الدرب سار عبد القادر فنراه في قصيدته التي بين أيدينا وكأنه يتغزل بمحبيب مشخص أمامه يبت أشواقه ويصف له حاله، وما يقاسيه من ألم البعاد والهجر، وقبل أن ندخل في دراسة هذه القصيدة لا بد أن نشير إلى ملاحظة هامة وهي أن قصيدة عبد القادر تعد نسخة لقصيدة السهروردي التي يقول في مطلعها:²

أبدا تحن إليكم الأرواح ***** ووصالكم ريحانه والراح

وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم ***** وإلى لذيذ لقاءكم ترتاح

ثم يصف لنا حاله بعد أن تمكن من هذا الحب، فهو في حبهم كالسفينة في عرض البحر، ولتعلقه الشديد بهذا الحب وهذا الجمال يقول أن حبال مكة لو أنها رأت هذا الحسن لاشتقت إليه، وفي كناية على أنه لا لوم عليه في الحب، فيقول:³

غرقت في حبهم دهرًا ألم ترني ***** في بحرهم سفن حقًا وملاح؟ !

¹ الأمير عبد القادر، الديوان، المرجع السابق، ص 108

² المرجع نفسه، ص 109.

³ المرجع نفسه، ص 115.

ماذا على من رأى يوماً جمالهم ***** أن ليس تبدو له شمس وإصباح
جبال مكة لو شامت محاسنهم ***** حنوا ومن شوقهم ناحوا وقد صاحوا
ويتعجب الأمير أشد العجب من صبر المحبين واحتمالهم وحصرهم على مداراة ما في
أنفسهم من أسرار المحبة الإلهية التي إبتغوا عليها، فحاول أن يحذو حذوهم ويكتسب ما يعتلج
في نفسه من ضروب الهوى ولكن أنى له ذلك ، فقد خانه الصبر وافتضح أمره، فظهرت
علامات العشق عليه فانكشف السر، وما ذاك إلا لأن الهوى فضاح يقول: ¹

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني ***** صبر المحبين ما ناحوا
ولا باحوا أريد كتم الهوى حيناً فيمنعني ***** تكتي كيف لا والحب فضاح
وتاه الأمير وهام في خضم هذا الحبيب حتى ضاعت نفسه، فأصبح يسائل عنها كل
غاد ورائح، يتنسم أخبارها، يبحث عن ذاته الضائعة في هذا العالم الروحي الذي حلقت
فيه نفسه بأجنحة الشوق، فلم تعد ترى منه إلا صورة المحبوب ولا تبغي من الدنيا إلا
الوصال، ومن أجل ذلك يعتمد إلى مقايضة من يجمعه بهذا المحبوب بنفسه فيبيع له هذا
الجسد الفاني يستعبده أبد الدهر، أما تلك الروح فلا سلطان عليها لغير الحبيب ولا جرم
أنها تجارة رابحة ومكسب ثمين في نظر الشاعر يقول ² :

أسائل عن نفسي فإنني ضللتها ***** وكان جنوني مثل ما قيل: أفنانا
أسائل من لا قيت عني والها ***** ولا أتحاشاهم، رجالاً وركباناً
أقول لهم من ذا الذي هو جامعي ***** ويأخذني عبداً - مدى الدهر - حلوان
ثم يسأل عن "نجد" أنه مستقره ومكان اطمئنانه ومنبع حنينه وشوقه وشدة تعلقه
بالمأماكن المقدسة فهي "رمز حب صادق، وهوى مبرح، وعاطفة جياشة صادقة، إنه رمز

¹ عبد الرزاق بن السبع، المرجع السابق، ص170

² المرجع نفسه، ص171.

للحبيب الأول والأخير وهو الله، وأن العاشق الصادق لا يليه هذا الجدار أو ذاك، لا لذاته بل حبا بمن سكن فيهما، وكذلك يفعل الصوفيون¹، "وفي هذا يقول الأمير² :

واسأل عن نجد وفيه مخيمي ***** وأطلب روض الرقمتين، ونعملا

منازل كانت لي مصيفا ومربعا ***** غداة بها أدعي صبيا وشيئانا

فالحبة عند الأمير درجات ومراتب، وأعلي مراتبها محبة الله للمجاهدين الذين جاهدوا الجهاد الطاهر، والجهاد الباطن في سبيل معرفة الحبيب الأول واجب الوجود "فأي منقبة أعظم ومكرمة أفخم من محبة الله- تعالي - للمجاهدين وهي محبة خاصة بالمجاهدين لها آثار في الدنيا والآخرة، كما أن محبة المجاهدين له - تعالي - محبة خاصة زائدة على محبة المؤمن غير المجاهد لظهور آثار المحبة من الجاني.

3. الخمر الإلهية:

أخذ شعر الخمرة علي يد الصوفية "أسلوبا رمزيا حافلا بالثراء، وأعطوه دلالات جديدة خرجت بالخمرة إلى دائرة الرمز الصوفي "ومن دلالة هذا الرمز الكأس الخمرة والصرف المدامة، بعد المزج، قبل المزج، معتقة، قبل كسرى، العصر، الدن، الرق، ختم إنائها³.

حيث تناول الأمير الخمرة الإلهية والتي كثيرا ما تغنى بها من سبقه من الصوفية ونذكر منهم على سبيل المثال ابن الفارض الذي قلده أميرنا في هذا الموضوع فهو في خمرياته هذه يكاد يشبه خمرة ابن الفارض من حيث وصفها ونشير هنا إلى أبيات لابن الفارض في الموضوع نفسه.

¹ المرجع نفسه، ص117.

² عبد الله الركيبي: "الشعر الديني الجزائري الحديث"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1981، ص120.

³ سامية بوعجاجة، المرجع السابق، ص31.

ولم يتطرق الأمير في قصائده الصوفية للخمرة، إلا في قصيدة واحدة وهي أشهر قصائده وأطولها، هذه القصيدة التي مدح فيها شيخه الصوفي " محمد الفاسي " عند لقائه في الأراضي المقدسة، وفي مدحه ضمن الحديث عن الخمرة التي تعد تعبيراً صوفياً مرموزاً، عن معاني نفسية وأحوال وجدانية . "ولما كان الأمير له حديث عن هذه الخمرة، كان بودنا أن نشير إلى الرمز الخمري في شعره، حيث بدأ الأمير حديثه عنها واصفاً إياها بنفس الأوصاف التي أوردها ابن الفارض في قصيدته، " فهي عنده قديمة قدم كسري، وهي خمرة بالنسبة إليه لا تكسر وتحدث عن أثرها، فشبهها بالعلم فهي الغنيمة الكبرى، ولذلك هاجر الأمير إليها وبلغ ما كان يرجوه ويأمله فهي لا تغتال عقل الإنسان بخلاف خمرة الدنيا لا يمكن الإنقطاع عنها، فيقول:¹

ويشرب كأساً صرفة من مدامة ***** فيا حبذا كأس ويا حبذا خمر
فلا غلو فيها لا ولا عنها نزفة ***** وليس لها برد وليس لها حر
ولا هو بعد المزج أصفر فاقع ***** ولا هو قبل المزج قان ومحمر
معتقة من قبل كسرى مصونة ***** وما ضمها دنّ ولا نالها عصر
ولا شانها زق ولا سار سائر ***** بأجمالها كلا ولا نالها تجر

ثم ينتقل إلى وصف قدحها ورائحتها، ولأن الملوك ذاقوا طعمها أو شموا رائحتها لكان تأثرهم بها يدفعهم للتخلي عن ممالكهم طوعاً لا كرهاً، ويتأسف لأولئك الذين كانوا منصرفين عن هذه الخمرة التي فيها من الفائدة²، يقول:³

فلو نظر الأملاك ختم إنائها ***** تخلّوا عن الأملاك طوعاً ولا قهر
ولو شئت الأعلام في الدرس ريجها ***** لما طاش عن صوب الصواب لها فكر

¹ الأمير عبد القادر، الديوان، تح: العربي دحو، المرجع السابق، ص 111.

² المرجع نفسه، ص 111

³ المرجع نفسه، ص 111.

فيا بعدهم عنها ويا بئس ما رضوا ***** فقد صدهم قصد وسيرهم وزر
وفي ختام القصيدة بئس الأمير نفسه والصوفية على هذه المرتبة الروحية و"الفوز
العظيم، والتجارة الراجعة فقد غنموا بعد فقر، وآمنوا بعد خوف فهم لا يحزنون نورهم
يسعى بين أيديهم ومن خلفهم، بلغوا أعلى الرتب فهم في هدى من ربهم، أما غيرهم
فحدث عنهم ولا حرج، تراهم في ظلمات يعمهون، صم، بكم، عمي، لا يفقهون من
أمر دنياهم إلا ما بدى منها، على أعينهم غشاوة انساقوا وراء شهوات الحياة وبريقها
المزيف، فهم كالأنعام أو أظل قليلاً¹، و يقول الامير:²

هنيئاً لنا يا معشر الصحب إننا ***** لنا حصن أمن ليس يطرقه ذعر
فنحن بضوء الشمس والغير في دجى **** وأعينهم عمي وآذانهم وقر
ولا غرو في هذا وقد قال ربنا ***** تراهم عيون ينظرون ولا بصر
وغيم السما مهما سما هان أمره ***** فليس يرى إلا لمن ساعد القدر
ألا فاعلموا شكرا لمن جاد بالذي ***** هداانا ومن نعمائه عمنا اليسر

4. وحدة الوجود:

تعني وحدة الوجود أن هناك وجوداً واحداً هو " الله " ويجب النظر إليه من خلال
جميع المخلوقات، ويعتبر ابن عربي أول واضع لمذهب " وحدة الوجود " في التصوف
الإسلامي " ويتحدث فيه عن وحدة الوجود ووحدة الأديان والحقيقة المحمدية بتعبير
تمتاز فيه النظرة الفلسفية بالذوق الصوفي ويتركز هذا المذهب بقول ابن عربي: "سبحان
من خلق الأشياء وهو عينها " فالوجود كله واحد، ووجود المخلوقات عين وجود الخالق،
ووجود الله هو الوجود الحقيقي ووجود العالم هو الوجود الوهمي.³

¹ عديلة بوشكسر، المرجع السابق، ص84.

² الأمير عبد القادر، الديوان، تح: العربي دحو، المرجع السابق، ص113.

³ عبد الرزاق بن السيع، المرجع السابق، ص179.

وإذا تتبعنا مراحل حياة الأمير يمكن لنا أن نقول بأن الأمير لم يعمد إلى القول بوحدة الوجود لأنه إنسان متدين وطالما جاهد من أجل الحفاظ لي مقومات الشخصية الإسلامية، وعلى الرغم من ذلك نجد له بعض القصائد في الديوان تشير إلى وحدة الوجود، كما ذهب إلى ذلك بعض دارسي الأدب الصوفي عنده، ووحدة الوجود عند الصوفية ذات حدين تحيل وترمز فيها الوحدة إلى الكثرة، والتعدد كما تميل الكثرة إلى الوحدة، فالواحد في الكثير والكثير في الواحد أي أن الصوفية ينظرون إلى الواحد على أساس أنه كثرة، وفي نفس الوقت ينظرون إلى الكثرة على أنها وحدة¹.

وعن هذه الوحدة الوجودية عبر الأمير، و بها تغنى في شعره، متأثراً في ذلك بشيخه ابن عربي، ومن أشعاره في هذا الموضوع قصيدته التي عنوانها محقق الديوان الأول "ممدوح حقي" (ديوان الوجود) من أمعن النظر في أبيات هذه القصيدة، وفهم معناها الباطن، يرى أن الأمير يؤمن حقيقة بهذه الفكرة بوحدة الوجود من سبقوه، وفي هذا يقول في قصيدة "عود وورود" بقوله:²

ألا حق، أنا حق ***** أنا رب أنا عبد

أنا عرش، أنا فرش ***** وجحيم، ألا خلد

أنا ماء، أنا نار ***** وهواء، أنا صلد

أنا كم، أنا كيف ***** أنا وجد، أنا فقد

أنا ذات، أنا وصف ***** أنا وحدي، أنا فرد

وقد تسيطر بعض الأفكار على الصوفي، فيصرح بها بلا رمز أو تلويح، ونجد مثل هذا التصريح المباشر " بوحدة الوجود " في مقطوعة نونية للأمير التي يرى فيها نفسه قد تحدث مع الذات، وأن فكرة العبد والمعبود ظلال، وبهذا ينفي الكثرة ويصرح

¹ أبو الوفاء الغنيمي: "مدخل إلى التصوف الإسلامي"، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة 1988، ص 201.

² الأمير عبد القادر، الديوان، تح: العربي دحو، المرجع السابق، ص 111.

بالوحدانية، ويحيل الكثرة إلى الوحدة حتى يزيل اللبس الناتج عن هذا الاعتماد .يقول في قصيدته: "من أكون"¹

يا أنا من أكون إن لم أكن أنت ***** ويا أنت من تكون إن لن تكن أنا
ما بالكم قلتم إله، وأعبد ***** فكثرتم لذلك طاشت عقولنا
إذا رفعت من بيننا العني والألف ***** فقد رفع الستر المفرق بيننا
وذلك حين لا أنا لك عابد ***** ولا أنت معبود فزال حجابنا.

ويؤكد مرة أخرى بأن الوجود واحد، فلا تعدد، لأن في التعدد شرك، ثم يطلب من المريد ان يفارق أهواء النفس ورغباتها، حتى يتمكن من الفناء التام في الحق، وان يرفض الحكم بمنطق العقل، لأن مداركه ضيقة فلا يمكن له أن يدرك ما يدركه القلب، والصوفية تفضل دائما القلب عن العقل، لأن العقل لا يصل إلى طريق المريد إلى الفناء الذي يفهمه الصوفية بأنه " حالة وجدانية عالية لا يغني في تحليلها منهج العقل، لأن طريقها الذوق والوجدان والممارسة"²، وفي هذا الصدد يقول³ :

فما كنت ناظرا بنا، أنت ناظر ***** إلينا، وإلا أنت أعمى به طمس
هو الذنب توحيدي، فلا تحسبن غيري ***** بوحدتي، غيري هو الترك الرجس
فما دمت غيرنا، فأنت شريكنا ***** وهل ثم، غير، يا بليد به هوس
ففارق وجود النفس، تظفر بالمنى ***** وزايل ضلال العقل، إذ أنه الحبس
وما توحيدي المقبول قولا وإنه ***** لفعل فلا يغرك جن ولا إنس
وما هو إلا أن تصير إلى الفنا ***** وتصعق ليس ثم روح ولا حس

¹ المرجع نفسه، ص118

² للأمير عبد القادر، الديوان، تح: زكريا صيام، المرجع السابق، ص216.

³ المرجع نفسه، ص216.

ومن قصائده التي تذور - كذلك - في فلك وحدة الوجود تلك البائية التي يثير فيها قضية الشك، وهي تعبير عن حيرته وقلقه قصد الوصول إلى اليقين، أو بحثا عن الحقيقة، وقد بالغ حين نراه يشك في نفسه، حيث استخدم حرف الاستفهام (هل) + في أسلوب مباشر دون رمز أو تلميح، ونجده يكررها ثلاثين مرة في القصيدة، وفي تكراره أربع مرات في البيت ما يشير إلى هذه المبالغة¹، وفي هذا يقول²:

لقد حرت في أمرى ، و حرت في حيرتي **** فأني الأمور ثابت ، هو لي أي
فهل أنا موجود ، وهل أنا معدوم **** وهل أنا ثابت ، وهل أنا منفي
و هل أنا ممكن ، و هل أنا واجب **** وهل أنا محجوب ، و هل أنا مزي
و هل أنا في قيد ، و هل أنا مطلق **** و لست سماويا ، و لا أنا أرضي
و هل أنا في حيز ، و هل عنه نازح **** وهل أنا ذا شيء ، و هل أنا لا شيء
و هل أنا ذا حق ، و هل أنا ذا خلق **** وهل عالمي غيب ، أو أني شاهدي
و هل أنا جوهر ، و هل أنا ذا كيف **** وهل أنا جسماني ، أو أني روحاني
و هل أدري من أنا ، في هذا تحيرى **** وهل أنا ذا ميت ، و هل أنا ذا حي
و هل أنا مجبور ، و هل أنا لي خيرة **** و هل أنا عالم ، و هل جاهل عى
و هل فاعل أنا ، و هل غير فاعل **** و هل قدري يقال ، أنا كسي

ويصل الأمير في النهاية إلى الحقيقة التي بحث عليها، والتي أصيب بحيرة من أجلها وهي الإيمان بالله، وبوجوده الذي أكدته القرآن والشاعر متأثرا بما جاء به الكتاب المبين من آيات تؤكد وجود الله وقدرته وتوحيده³، وفي هذا يقول⁴:

¹ للأمير عبد القادر، الديوان، تح: العربي دحو ، المرجع السابق، ص 126

² المرجع نفسه، ص 126

³ الأمير عبد القادر، الديوان، تح: زكريا صيام، المرجع السابق، ص 232

⁴ المرجع نفسه، ص 233.

ومن أينما نتولى، فهو **** له ثم وجه له برقع
ومن أينما كنا معنا يكن **** ومن يتحول في صورة، فاسمعوا
فما بين هذا وذه وته **** عقول الورى، أغتالها سبع
وتاهت في بيداء مظلمة **** مجاهل أرواحها، زعزع
سكارى وشت مذاهبهم ***** وكل يقول إلى اهرعوا
فعندي النجاة وعندي الهوى ***** وعندي السبيل وذا المهيع
5. وحدة الشهود:

وقد عبر الأمير عن هذه الدلالة في قصيدته " الرائية " حيث بينها لنا في أسلوب قوي
يتضح من خلال تكراره للفعل " يرى، أراه، أرى " وكلها تفيد المشاهدة وهو يصفها
وكأنه يتغزل بمحبوبته، إلا أنه يقصد من ذلك حاله أثناء المشاهدة وفرحته وسعاده لهذا
التجلي، بعد ان زال الحجاب بينه وبين خالقه، و بهذا يكون قد حقق أمره فيقول في
قصيدته تجلي المحبوب: ¹

تجلى له المحبوب من حيث لا يرى ***** فأعجب به، أراه من حيث لا أرى
وغيبني به فلهب رقيباً ***** وزال حجاب البين وانحسم المرى
فصرت أراه كل حين ولحظة ***** وقد كان غائباً وقد كان حاضراً
فما عرف الخلاق إلا بجمعه ***** لضدين من كل الوجوه تنافر

وتتردد فكرة الشهود في قصيدته " الكافية " تناولها في أسلوب خطابي قوي، ويبدو
من خلال عبارات القصيدة انه متأثر بالقرآن الكريم مستعينا في بناء قصيدته هذه بآيات
قرآنية، وهو هنا يذكر بأحوال يوم القيامة، ووصف أهوالها كما جاء وصفها في
القرآن الكريم، ويقول في قصيدته " لو حضرت بقوله: ²

¹ عديلة بوشكيرو، المرجع السابق ، ص 94.

² المرجع نفسه، ص 94.

يا صاح إنك لو حضرت سماءنا ***** وقت انشقاقها حين لا تتماسك
وشهدت أرضاً زلزلت زلزالها ***** ألفت ما فيها والجبال دكادك ونظرت
أرضاً بدلت وسمائنا ***** وبرزخنا حللنا وكل هالك
وشهدت صعقتنا والإله قائل ***** الملك لي اليوم مالي مشارك

6. الوجود المطلق:

إن الوجود المطلق يعني نفي الكثرة وإطلاق الوحدة وهو بذلك يختلف عن وحدة الوجود التي تعني الواحد في الكثرة، والكثرة في الواحد، وقد شحرها كمال الشريف، حيث يقول: "إن الوجود واحد لأنه صفة ذاتية للحق سبحانه وتعالى، وهو واجب فلا يصح تعدده، والوجود هو ممكن وهو العالم يصح تعدده باعتبار حقائقه وقيامه، وإنما هو بذلك الوجود الواجب لذاته فإذا زال بقي الوجود كما هو، فالوجود غير الوجود¹.
وقد تطرق الأمير عبد القادر إلى فكرة الوجود المطلق في قصيدته "الدالية" وهو يدعي فيها بأنه مطلق لا قيد له، وقد سبق له وأن ذكر في إحدى قصائده أنه تجرد من اسمه وأصبح قادر²، حيث يقول:³

فما بالهم يدعونه عبد قادر **** ولم يبق إلا قادر ما له عبد
فلا غرو إذن أن يدعي في هذه القصيدة بالإطلاق دون قيد، وهو يبالي عندما ينفي عن نفسه الشبه أي أنه لا أحد يشبهه، فهو وحده وليس هناك غيره إطلاقاً، ولذلك فهو يطلب من غيره بأن ينظر إلى سواه فمالحياة الدنيا سوى لحظات عجال، وفي هذا يقول في قصيدته "أنا مطلق"،⁴ بقوله:¹

¹ ممدوح الزوي، معجم الصوفية، دار الجيل، لبنان، ط 1، 2004، ص 119

² للأمير عبد القادر، الديوان، تحقيق: العربي دحو، المرجع السابق، ص 121

³ المرجع نفسه، ص 121.

⁴ عديلة بوشكير، المرجع السابق، ص 95

أنا مطلق لا تطلبوا الدهر لي قيدا**** ومالي من حد فلا تبغوا لي حدا
ومالي من كيف فيضبطني لكم*** ولا صورة لا اعدوا منها ولا بدا
ومالي شأن يبقى أنين ثابت**** وإن شؤوني لا يحاط بهما عدا
ولا تنظروا غيري من كل صورة**** فلا تنظروا عمرا ولا تنظروا زيدا
ولا تطلبوا غيري فما هو كائن**** سوى خيالات تحسبون لها وجدا
وما هي إلا سترة قد نصبتها**** لأبله عقل صور صبحت عينه رمدا
ألا فانظروا إلى الحبيب وفكروا***** فهل غيره ما صار صورته زيدا
وخير ما نختم به حديثنا عن تصوف الأمير عبد القادر، هو التصوف الخالص الذي
تمثل في رموز المدح الصوفي والخمرة الإلهية والغزل الإلهي ثم وحدة الوجود ووحدة
الشهود، والوجود المطلق، وهي كلها تدور في فلك الوجود " وجود الخالق."

ثانيا: نثره

إذا تتبعنا خطابات الأمير فإن أول انطباع حولها سيكون وصفها بأنها خطابات
ونص وجود دلائل صوفية بامتياز، وتحمل بين طياتها الكثير من المبادئ الإسلامية
والأخلاق النبوية².

فرغم بساطة أسلوبه لدرجة أنه استعمل كلمات عامية فيه، ورغم بساطة المواضيع
التي عرضها فيه وكثرة استهلاكها، لدرجة يتسنى لنا أن نحكم على الكتاب أنه لم يأت فيه
بشيء جديد - باستثناء ما يتعلق بحياته-، إلا أن مرام الأمير من ذلك لا أظنه مجرد النقل
الحرفي - كما فعل - من كتب السيرة وبشكل خاص سيرة ابن هشام - باستثناء حديثه عن
كفاحه - وإنما مرامه لفت انتباه الآخر (الأوروبيين) إلى اتساع ساحة التوافق والتقارب

¹ المرجع نفسه، ص 96

² بكري علاء الدين، المرجع السابق، ص 27.

بين الأديان وخاصة بين الإسلام والمسيحية، وهذا ما تعكسه بعض عناوين مباحث الكتاب، مثل:¹

- فضائل النصارى في القرآن

- مناصرة المسلمين للروم في حربهم مع الفرس

- الإنجيل يحب المسلمين للنصارى

- شهادة الأمير لكبار النصارى بالفضل

- علاقة النسب بين العرب والروم

فهذه العناوين وغيرها إن دلت على شيء فإنها تدل على سعة أفق الأمير وتشبعه بالفكر التقريبي بين بني الإنسان، وتجاوز النزاع الوهمي الذي تقع في حباله عقول أصحاب المذاهب والأديان، ومن أهم الدلائل الصوفية الموجودة في نثر الأمير عبد القادر نجد:

1. الإنسانية:

ويشير الأمير في كتابه "المذكرات"، إلى القيم الإنسانية التي يجب أن يتحلى بها الحاكم مع رعيته، حيث اشترط أن "يشدّ ثغور المسلمين، ويربط مواضع الخوف، ويقبض منهم المال المحرم من أموالهم شرعا من جهة حقه، ويدفعه في حقه، فيواسي الجرحى، ويكفّن الموتى، ويداوي المرضى برقابة الأطباء، ومصالح الأدوية، ويعطي لمن مات فرسه مثل فرسه أو قيمته، ويزيد مع القيام بالأمر الجهادية ما أدى إليه اجتهاده من ترتيب أهل العلم، وتعظيمهم... واعتبار الفقراء والمساكين في مصاريف الصدقات"²...

ولا تقتصر الإنسانية للأمير على الإنسان المسلم فقط، وإنما تشمل الإنسانية جمعاء، معتبرا للقيمة الإنسانية في جميع البشر، وهو ما اختصره في كتاب ذكرى العاقل وتنبيه

¹ المرجع نفسه، ص28

² رشا روايح، المرجع السابق، ص384.

الغافل، بقوله: "الأشخاص الإنسانية متساوية في الإنسانية ومتميزة بخصوصيتها". فمهما اتسعت رقعة الاختلاف، تبقى الإنسانية بمثابة الجاذبية التي تضم جميع الناس إليها.

2. الجهاد:

بالنسبة للجهاد الذي يعتبر فعلا يستدعي الشدة والغلظة، فإن الأمير الذي مارسه ما يقارب العقدين، يُكسبه صبغة إنسانية تتم عن فهم عميق للنص الديني يتجاوز الظاهر ويغوص في أغواره الروحية، وهذا ما نلمسه في شرحه للخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: "رَجَعْنَا مِنَ الْجَهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجَهَادِ الْأَكْبَرِ"، فيقول: "إنه صلى الله عليه وسلم سَمَّى جهاد الكفار أصغرا، لكون جهاد الكفار وقتلهم ليس مقصودا للشارع بالذات، إذ ليس المقصود من الجهاد إهلاك مخلوقات الله وإعدامهم وهدم بنيان الرب تعالى وتخريب بلاده، فإنه ضد الحكمة الإلهية، فإن الحق تعالى ما خلق شيئا في السماوات والأرض وفي ما بينهما عبثا، وما خلق الجن والإنس إلاّ لعبادته، وهم عابدون له، عرف ذلك من عرفه، وجهله من جهله، وإنما مقصود الشارع دفع شر الكفار وقطع أذاهم عن المسلمين، لأن شوكة الكفار إذا قويت أضرت بالمسلمين في دينهم ودنياهم.¹

يرتقي الجهاد عند الأمير المجاهد الصوفي من الظاهر إلى الباطن، ويكبر الجهاد من الأصغر إلى الأكبر؛ فيجاهد المحتل في الخارج ويجاهد النفس في الداخل، وينادي في رعيته أن "الجهاد في سبيل الله ليس فقط قتال العدو وإنما أيضا البناء وتقوى الله، فاتقوا الله في أنفسكم وفي دولتكم الإسلامية، ونظامها الإسلامي الإلهي العظيم"²

3. السماح والغفران:

إن هذا الخطاب ليس خطابا في التسامح الساذج، إنما هو خطاب معرفي ينبثق من رؤية دينية إنسانية، تسعى إلى تثمين القواسم المشتركة، من أجل تضيق فجوات الشقاق،

¹ بكرى علاء الدين، المرجع السابق، ص464.

² المرجع نفسه، ص464

وتجفيف منابع الخلاف، ليتسنى للإنسان أن ينتقل بنظره من البصر إلى البصيرة، ومن العين إلى القلب، كما يؤكد الأمير دوما على حرية المعتقد كقيمة إنسانية مفقودة ومبدأ اجتماعي منشود، فيصرّح في إحدى رسائله أن "تطبيق التسامح يتمثل في عدم إكراه أي مؤمن بدين على ترك دينه، وكل الشرائع الإلهية، سواء الإسلام وغيره، متفقة في هذه المسألة"¹

¹ المرجع نفسه، ص465

المبحث الثاني: رموز الدلالة الصوفية للأمير عبد القادر

أولاً: مفهوم الرمز عند الأمير عبد القادر

قبل التطرق الى مفهوم الرمز عند الأمير عبد القادر لابد من تقديم تعريف له لغة

واصطلاحاً:

تعريف الرمز لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور : رَمَزَ : الرَّمَزُ : تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت إنَّ ما هو إشارة بالشفتين، و قيل الرَّمَزُ : إشارة و إيماء بالعينين و الحاجبين و الشفتين و الفم، الرَّمَزُ في اللغة كل ما أشرت إليه مما بيان بلفظ أي شيء أشرت عليه بيد أو عين و رَمَزَ زَ ، يَرْمُزُ، وَذِيرْمُزُ، رَمَزًا.¹

و جاء في المنجد في اللغة و الإعلام " : رَمَزَ، رَمَزَ ، رَمَزًا إليه : أشار و أومأ، تَرَامَزَ القوم : رَمَزَ كل منهما إلى الآخر يقال : دخلت عليهم فتغامزوا و ترامزوا أي إشارة بعضهم إلى بعض.²

و هكذا فالرمز في معناه اللغوي يعني الإشارة و الإيماء، و كان أحد حلول إشكالية كبيرة واجهتها الظاهرة الصوفية، هي محاولة إيجاد الشكل التعبيري المناسب.

تعريف الرمز إصلاًحاً:

عرفته سلمى الخضراء الجيوشي فهو " تعتمد استخدام كلمة أو عبارة لتدل على شيء آخر لا بالتشابه بل بالإيحاء و الإشارة"³.

¹ ابن منظور، " لسان العرب " دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، ط 4 ، 2005 ، ص356

² لويس معلوف، " المنجد في اللغة و الإعلام " دار المشرق، بيروت، ط 40 ، 2003 ، ص. 679

³ سلمى الخضراء الجيوشي، " الاتجاهات و الحركات في الشعر العربي الحديث " تر :عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1 ، 2001 ، ص781

كما عرفه: احمد فتوح " أفضل طريقة للإقصاء بما لا يمكن التغيير عنه، وهو معين لا ينضب للإيجاء"¹

أما بالنسبة للأمير عبد القادر فقد عرف الرمز على انه: طريقة ثراءها بالتكلف والنفاق والترخف، ولا فقرها من الاحساسى الذاتى، والتأثير الحسى أو الذهني.²

ومن أهم الرموز الصوفية عند الأمير عبد القادر: المرأة والخمر والمحبة . فالمرأة لدى الصوفية هي أجمل تجليات الوجود، وهي رمز النفس الكلية ، ورمزٌ للرحم الكونية، وبوساطة رمز المرأة مزج الصوفيون بين المادي والروحي ، بينما ترمز الخمر إلى معرفة الذات الإلهية التي يسكنُ الصوفي، والمحبة هي حب الحبيب.³

ثانيا: رموز الدلالة الصوفية عند الأمير عبد القادر

1. رمز المرأة:

ينطلق الأمير في غزله من تراثه الإسلامى و تربيته الدينية فلا يرى في الغزل عيباً مدام بعيداً عن الإباحة، و ينحو فيها منحى روحياً ينتمى إلى التيار العذري في صدقه. وقد شكّلت المرأة أهم المنابع الأساسية للكتابة الصوفية، إذ حاول المتصوفة إخراج صورة المرأة من التصور الفقهي الذي كان متداولاً في الثقافة العربية فنظروا إليها نظرة مغايرة، و حب المرأة عند المتصوف ليس حباً محدّداً بوجودها الخاص أو بحدود الجنس، و لكنّه يقصد اكتشاف السرّ الغائب وراء أنوثتها.⁴

¹ إبراهيم رمانى، " الغموض في الشعر العربي الحديث"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، دت، ص 273
² عبد الكريم يعقوب، " الرمز في النثر الصوفي"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الاداب و اللغات، المجلد 25، العدد 1، الجزائر، 2023، ص 35.

³ نذير بوجله، " التقليد والتجديد في شعر الامير عبد القادر"، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2008/2007، ص 120.

⁴ منصف عبد الحق، "الكتابة و التجربة الصوفية"، منشورات عكاظ، المغرب، 1988، د ط ، ص 44

و لا يمكن أن يدرك ذلك السرّ إلا العاشق الصوفي الذي يجعل من الحب حركة انفتاح نحو كل ظاهرة الكون و العالم و التجليات الإلهية و هكذا من خلال رمز المرأة راح الشعراء يتأملون الجمال المطلق، ليجعلوا من حبّ المرأة مجرد إطار فنيّ للدلالة على الحب الإلهي. فلم يكن غزل الأمير غزلاً مادياً ماجناً بل كان غزله روحي ينتمي إلى التيار العذري في صدقه و صفائه و إخلاصه النبيل، فسمّا في شعره الغزلي عن الأوصاف الماديّة إلى الأوصاف الروحيّة، فكان غزله غزل الحنين و الأنين، غزل الأسى و اللوعة و الحرمان، فيتمنّى ذوبان نفسه و موتها، إذ يعتبر أنّ هذه النهاية هي قضاؤه و قدره في هذه الحياة التي كتب فيها لقصة حبه أن تنتهي هذه النهاية¹، وهذا ما يظهر في قوله:²

فَإِنْ هُوَ لَمْ يَجِدْ بِالْوَصْلِ أَصْلاً ***** وَيُدَّتِي الطِّيفُ مِّنْ سَكَنِي وَ دَارِي
أَقْلُ لِنَفْسِي وَ يَكُّ أَلَا فَذُوبِي ***** وَ مُوتِي فِي الْقَضَاءِ عَلَيْكَ حَار

كما تميّز غزله بكثرة تساؤلاته الحزينة و نداءاته الباكية فيناجي نفسه مناجاة العاشق الذي يتأجج نار الجوى بين ضلوعه، و يناجي الليل الطويل الذي لا آخر له حيث يقول منغزلاً بابتنة عمه³:

إِلَامَ فؤَادِي بِأَلْحَ بَيْبٍ هُ تُوْرُ؟ ***** وَ نَارُ الْجَوَى بَيْنَ ضُلُوعِ تُوْرُ؟!
وَ حَزَنَ مَعَ السَّاعَاتِ يَرُبُو مَجْدَدًا ***** وَ لَيْلِي طَوِيلُ وَ الْمَنَامُ نُفُورُ.

2. رمز المحبة:

هناك حَبَّان عند المتصوفة، الحب الإلهي و الحب النبوي، فالحب الإلهي يتخذ فيه المحب موضوع حبه الذات الإلهية ويتحدث عن الحب المتبادل بين الله والإنسان، أما في

¹ ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، تح: زكريا صيام، المرجع السابق، ص 196

² المرجع نفسه، 301

³ المرجع نفسه، ص 160

الحب النبوي فيتخذ الحب موضوع حبه من الحقيقة الحمديّة التي هي عند المتصوف أسبق في الوجود على كلّ موجود عامة و على وجود محمد صلى الله عليه وسلم خاصة¹.
وقد تطرق الأمير عبد القادر إلى موضوع المحبة الإلهية في بعض قصائده الصوفية فتحدّث عن وصال الحبيب ورؤيته ثم مزج بين موضوع الخمرة و المحبة حيث انفرد مع حبيبه طول الليل و الإبريق مملوء بالخمرة الروحانية وكلما ازداد شرباً منها ازداد معرفة لهذا الحبيب، ويعكس هذا المعنى قوله²:

أَوَدَ طُولَ اللَّيَالِي أَنْ خَلَوْتُ بِهِمْ ***** وَقَدْ أُدِيرْتُ أَبْرِيْقُ وَأَقْدَاخُ
أَنَا الْحُبُّ وَالْمَحْبُوبُ وَالْحُبُّ جُمْلَةٌ ***** أَنَا الْعَاشِقُ الْمَعْشُوقُ سَرًّا وَإِعْلَانًا

نحن أمام ذات متصوّفة لا ذات عذرية تستعير تقاليد الشعر العذري و ملاحمه و رموزه، وتعيد توظيفها، و هكذا تغدوا ألفاظا كالشوق و الحب و العشق و القرب و البعد رموزاً صوفيّة ترمز إلى تجربة الصوفي و تغدو ظاهرة الظمأ رمزاً صوفيّاً³.

كما نجده يصرّح أنّ علامات عشقه قد ظهرت كلّها و كشف سرّه لأنّ الهوى فضحه بقوله ردّاً عليهم و على سخريتهم من محبته الصوفيّة قائلاً لهم⁴:

قَالَ الْعَوَاذِلُ فَيْكَ السَّخَرُ قُلْتُ لَهُمْ ***** نَعَمْ وَ لِي صَحَّةٌ فِيهِ وَ إِصْلَاحُ
مَا زَالَ يَرْمُو مَعَ الْآثَاتِ بِي أَبَدًا ***** فَلِي بِهِ بَيْنَ أَهْلِ الْحُبِّ أَمْدَاخُ
يَاعَاذِلِي، عَنْ غَذِيرِي فِي مَحَبَّتِهِمْ ***** فَإِنَّ قَلْبِي كَمَ آيَةٍ وَاهٍ مَشْحَاخُ

3. رمز الخمرة:

¹ فؤاد السيد، المرجع السابق، ص232

² الأمير عبد القادر: ديوان الأمير عبد القادر"، تح: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، بيروت، ط 2، 1964،

ص 208

³ المرجع نفسه، ص208.

⁴ المرجع نفسه، ص210.

شكّلت الخمرة في العرفان الصوفي رمزاً من رموز المحبة الإلهية فمنحوها دلالات جديدة خارج دائرة المادية التي تعرف بها، و الخمرة في التصوف هي الإستغراق في حبّ الله حتى الثمالة وهي نشوة أزلية لأنّها وجدت بوجود المحبوب قبل أن يخلق الخمرة.¹

فلخمرة وضع خاص في تراث الصوفية الأدبي فهي لديهم تعتبر رمزاً من رموز الوجد الصوفي و الحب الإلهي فأضحت هذه الخمرة في التجربة الصوفية رمزاً عبّر من خلاله الشعراء عن أحوالهم فجعلوها معادلاً وجدانياً للإرتواء من نبع الفيض الإلهي، هروبا من واقع مأساوي مهمش، وتناول الأمير الخمر الإلهية فهو سكران بخمره الوجد الصوفي، فذكر قدمها و هي الخمرة لا تسكر، و تحدث عن أثرها بأنّها هي العلم و هي الغنيمة الكبرى و لذلك هاجر إليها و بلغ غايته، فجاءت أشهر قصائده التي تحدث فيها عن المرة رائية:²

أ. الخمرة التي لا تسكر:

إنّ خمرة الأمير و التي نفى القرآن عنها الاسكار ليس لها صفات الخمرة الدنيوية ولا يصاب شاربها بالسكر، و لا بخفّة العقل و الجهل و الحمق فهي خمرة صافية يقول:³

وَيَشْرَبُ كَأْسًا صُرْفَةً مِّنْ مُّدَامَةٍ **** فَيَا حَبْدًا كَأْسُ وَا يَا حَبْدَ خَمْرُ
فَلَا غَوْلَ فِيهَا، لَا ، وَا عَنْهَا نَزْفَةٌ **** وَ لَيْسَ لَهَا بَرْدٌ وَ لَيْسَ لَهَا حَرُّ

ب. الخمرة هي العلم:

الخمرة عند الأمير هي العلم كلّ العلم، فهي العلم المركزي، ذلك أنّ نسبة هذه الخمرة إلى العلم كنسبة النقطة إلى محيط الدائرة فهي مركز تدور حوله:⁴

¹ سعاد الحكيم، "المعجم الصوفي"، دار دارة، بيروت، لبنان، ط 1، 1981، ص 120

² المرجع نفسه، ص 120

³ ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، تح: زكريا صيام، المرجع السابق، ص 196

⁴ المرجع نفسه، ص 197

هِيَ الْعِلْمُ كُلُّ الْعِلْمِ وَالْمَرْكَزُ الَّذِي **** بِهِ كُلُّ عِلْمٍ كُلِّ حِينٍ لَهُ دَوْرٌ.

ج. الخمرة عند ابن الفارض و الأمير

لم يفرد الأمير للخمرة الحسية المادية قصائد و مقطوعات في ديوانه، و لم يذكرها وإنما الخمرة الإلهية التي وصفها و صفًا يكاد شبيهاً بوصف ابن الفارض لخمرة التي اعتبرها رمزاً للمعرفة الإلهية أو لمعرفة الحبيب و هي محبة أزلية قديمة مترّمة عن العلل حيث يقول¹:

شَرَبْنَا عَلَى ذِكْرِ الْحَبِيبِ مُدَامَةً **** سَكَرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلُ أَنْ يُخْلَقَ الْكَرَمُ
فَإِنْ ذُكِّرَتْ فِي الْحَيِّ أَصْبَحَ أَهْلُهُ **** نَشَاوَى وَ لَا عَارُ عَلَيْهِمْ وَ لَا إِثْمُ
وَ لَوْ نَظَرَ النَّدَمَانُ خِثْمَ إِنَائِهَا **** لَا سَكْرَهُمْ مِنْ دُونِهَا ذَلِكَ الْخِثْمُ.

و قصيدة الأمير الصوفيّة التي ضمّنها ذكر الخمرة تكاد تكون صورة طبق الأصل لقصيدة ابن الفارض، بيد أن الفرق الوحيد بينهما هو أن موضوع قصيدة ابن الفارض الخمرة الإلهية فقط، أما قصيدة الأمير فيكون الموضوع الخمري جزءاً منها، إذ أن خمرة الأمير كخمرة الجنة التي نفى القرآن عنها الإسكار فليس لها صفات الخمرة الدنيوية².

د. الخمرة المادية و الخمرة الروحية

وجد الصّوفية في الخمرة الروحية معدلاً موضوعياً للخمرة المادية، فهي تحقق لهم الوصول إلى الحضرة الإلهية، كون الخمرة تعبّر عن مرحلة الحضور، كما يكشف لنا التوظيف الصّوفي للخمرة عن العلاقة بين الخمرة المادية و الخمرة الحسيّة، فهذه الأخيرة معروفة أنّها "شارب مسكر و يسبّب تخديرها للوعي البشري، و أن الخمرة المجردة

¹ فواد صالح السيد، المرجع السابق، ص 229.

² مختار ح بار، " شعر أبي مدين التلمساني - الرؤيا و التشكيل -"، اتحاد كتاب العرب، دمشق، د ط ، 2002 ،

باصطلاح الصّوفية هي ذوق المحبة الإلهية و العلاقة بينهما علاقة مشابهة في الفعل الناتج عنهما لا في الماهية و التكوين، إذ إنّ فعل شرب الخمرة المادية عند الخمّار شابه ذوق المحبة الإلهية عند الصوفي.¹

و يصف الأمير الصوفي "و قد ملأت نفوسهم نشوى سُكّارى و هم ليسوا بسكّارى و قد غمرتهم السعادة إلى درجة أنّهم فقدوا الإحساس المادي و أنّ أرواحهم موجودة في عالم غريب لا يدركه إلا من جرّب قال²:

فَمَنْ يَرْجَى مِنَ الْكَوْنِ غَيْرَنَا **** فَخُنْ مُلُوكُ الْأَرْضِ لَا الْبَيْضُ وَالْحُمْرُ
تَمِيدُ بِهِمْ كَأَسَ بِهَا قَدْ قَوْلُهَُا **** فَلَيْسَ لَهُمْ عَرَفٌ وَ لَيْسَ لَهُمْ ذِكْرُ
حَيَارَى فَلَا يَذْرُونَ أَيْنَ تَوَجَّهُوا **** فَلَيْسَ لَهُمْ ذِكْرٌ وَ لَيْسَ لَهُ مَفْكَرُ

¹ ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، تح: زكريا صيام، المرجع السابق، ص 196

² المرجع نفسه، ص 196.

الخلاصة

وفي الأخير يمكن القول أن الأمير عبد القادر يمثل علما صوفيا بارزا في مسار المتصوفين ذلك انه مارس صوفيته من خلال اتحاده بالذات الإلهية التي أحبها وذاب فيها عشقا وأصبح يتكلم انطلاقا من رغبة ومشیئة هذه القدرة العليا – الله عز وجل – فمن أحب الله وأخلص في عبادته صار الله تعالى يده التي يبطش بها وعينه التي يبصر بها ولسانه الذي يكلم الناس به، فسمما تعبیره وتعالى عباراته وأدخلنا علما رمزيا تحتاج فيه إلى قراءة متأنية ومعقدة تسبر أغوار تجربة الأمير الصوفية ورحلته في عشق الذات الإلهية وكل هذا يبدو جليا في شعره الذي يتعالى فيه عن دنس الحياة الدنيا ويعزف عن مغرياته

الفصل الرابع

المبحث الأول: الأبعاد الإنسانية لكتابات الأمير عبد القادر

المبحث الثاني: الأبعاد الإنسانية أثناء إمارة الأمير عبد

القادر وبعدها

تمهيد

إن تحليلات البعد الإنساني في حياة الأمير، هو استنطاق تلك المواقف التي جسّد من خلالها الأمير، ثقافة المحبة، والسلام، والسماحة، والانفتاح على الآخر، والوسع الإلهي لجميع الناس، واحترامه لكرامة الكائن البشري، قدم من خلالها رؤية متميزة لعلاقة الإنسان بالإنسان تنبني أساساً على علاقة الإنسان بالله. وربما ما يميّز الأمير في ذلك هو تجذّر ذلك المترع الإنساني في روحه وعقله وسلوكه، فهو الرجل الإنساني، دوماً، لا يتبدّل سواء أثناء إمارته، أو بعدها. وطبعاً كانت لنشأته الدينية الصوفية في بيئة مشحونة بالقيم الروحية والخلقية، الدور الكبير في تعميق حسه الإنساني، وتقييمية للعلاقات الإنسانية وموقفه من الأديان، فتربيته بين أحضان أسرة تحيطها هالة من الزعامة الروحية والعلمية، هيأ له قدراً من نبل الأخلاق ناله بفضل ما كان يعايشه في بيت والده المفتوح على مختلف أشكال الناس.

المبحث الأول: الأبعاد الإنسانية لخطابات الأمير عبد القادر

تعتبر التزعة الإنسانية عند الأمير عبد القادر هي السبب الإرادي الحقيقي الذي أراده الأمير أن يكون صلة الوصل بينه وبين أخيه الإنسان شرقيا كان أم غربيا أو أوروبيا أو مسلما أو مسيحيا، إذ أن "أساس الديانة وأصولها خلاف فيها بين الأنبياء، من آدم إلى محمد عليه الصلاة والسلام فكلهم يدعون الخلق إلى: توحيد الإله وتعظيمه، "وإن المتأمل في التسامح الديني الذي عرف به الأمير في أثناء وجوده في الجزائر وخارجها منفيا، يدرك أن الرجل كان على مستوى من الوعي الإنساني المتفهم لحقيقة الإنسان والإنسانية التي لا تؤمن بالحدود والحواجز والعراقيل بين البشر إذ قال حينما بدأت مقاومتي للفرنسيين كنت أظن أنهم شعب لا دين له، ولكن تبينت غلطتي، وعلى أي حال فإن مثل هذه الكنائس ستقنعني بخطئي.¹

أولا: البعد الإنساني لشعر الأمير عبد القادر

يعتمد الأمير عبد القادر في شعره الصوفي على بساطة التعبير، لكنه يحتوي على إشارات رمزية، تسمح للمتأمل من استنباط المعاني المكونة بين تلك الإشارات المبتوثة بين شطري كل بيت شعري، ومن أهم الأبعاد الإنسانية التي يركز عليها الأمير عبد القادر في شعره نجد:

¹ عبد القادر الجزائري: ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، تح و تق: ممدوح حقي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر

القاهرة، ط1، 1972 ص 101.

1. القيم الإنسانية:

تظهر القيم الإنسانية بأول بيتين وردا على غلاف مخطوطات كتاب المواقف، وهما¹:

لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذَرْتَنِي * * * أَمْ كُنْتُ أَجْهَلُ مَا تَقُولُ عَذَلْتُكَ

لَكِنْ جَهِلْتُ مَقَالَتِي فَعَذَلْتَنِي * * * وَعَلِمْتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذَرْتُكَ

هذان البيتان هما في الأصل "للخليل بن أحمد الفراهيدي"، أنشدهما في القرن الثاني للهجرة،

ولا يخفى هنا أن تتويج الأمير لكتابه المواقف بهاذين البيتين يحمل الكثير من المعاني الأخلاقية والقيم الإنسانية التي يعكسها الأدب القولي الذي كان يتميز به الأمير في كل كتاباته.

وفي نفس المعنى يقول الأمير²:

فَلَوْ رَأَيْتَ الَّذِي رَأَيْتَهُ عَلْنَا * * * لَكُنْتَ تَعْذُرُنَا أَعَاذَلْنَا

وَكُنْتَ تَعْلَمُ كَيْفَ الْأَمْرُ مُتَضَحٌّ * * * وَكَيْفَ قَلْنَا الَّذِي قَلْنَا وَقِيلَ لَنَا

جَمَالَنَا بَعْلُومَ أَنْتَ تَجْهَلُهَا * * * بِهَا حَبَانَا إِلْهَنَا وَجَمَلْنَا

عَرَفْنَا كُلَّ الَّذِي وَصَفْتُمُونَا بِهِ * * * وَنَحْنُ أَعْرَفُ مِنْكُمْ بِأَنْفُسِنَا

بَلْ نَحْنُ أَعْرَفُ مِنْكُمْ بِأَنْفُسِكُمْ * * * عَرَفْنَا مِثْلَكُمْ، جَهِلْتُمْ مِثْلَنَا

¹ عبد الرزاق بن السبع، المرجع السابق، ص 67.

² علاء الدين بكري، المرجع السابق، ص 11.

2. الاعتذار:

يخاطب الأمير مخالفه بكل لطفٍ وسِاحةٍ ورحابة صدر، مشيراً أن عدم الوجدان لا يعني عدم الوجود، وأن الإنكار على الأمير وغيره من أرباب التصوف عائد بالأساس إلى سوء فهم وعجز عن الاستيعاب، وكم في الجهل من ضرر كما عبّر الأمير.

وليس يدري الذي أقول غير فتى *** قد جاوز الكون من عينٍ ومن رُتبٍ

كما تتكرر اعتذارات الأمير في أشعاره من المنكرين عليه، مؤكداً مقولة "النفري" المشهورة: "كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة"¹، ومنه كلما اتسع المعنى ضاقت العبارة. فيقول²:

لقد ضاق صدري بالذي أنا واحدٌ *** وتعبري ما يفي فيبدو ولا يبدو

ألا فاعذروا من ذاق إن ضاق صدره *** كما أن من قد ذاق عاذركم يغدو

والأجمل من ذلك أن يختم الأمير قصيدته بما يعكس ذلك الحس الجمالي والذوق الفني الذي كان يعيشه ضمن ممارسته الإحسانية و اعتذارات³، فيقول بكل رحمة وسعة صدر:⁴

فأنتم عندنا أرواحٌ طاهرة *** ونحن عندكم رجس أجاهلنا؟

¹ المرجع نفسه، ص11

² رشا روابح، المرجع السابق، ص381.

³ المرجع نفسه، ص382.

⁴ الأمير عبد القادر: ديوان الأمير عبد القادر الجزائري تح: زكريا صيام، المرجع السابق، ص183

كما لا يستنكف الأمير عن الاعتذار كقيمة أساسية في استمرار العلاقات الإنسانية، فإنه لا يستنكف أيضا عن الحلم والمسامحة، بوصفها قيمتين إنسانيتين لا يمارسهما إلا من سيت نفسه وعظمت روحه¹، فيقول: ²

وإن أساء علينا الجار عشرته * * * نبين عنه بلا ضر ولا ضرر

3. التسامح:

إن التسامح من أبرز الأعمال والصفات الأخلاقية التي ميزت حياة الأمير عبد القادر لأنه يعرف أن الشخص المتسامح يحظى بحب الله، وكان يبدو التوجه المسالم والمتسامح للأمير عبد القادر من كونه نشأ في أسرة تنتمي إلى طريقة صوفية بسيطة في حياتها، تقيم بالتعليم والأعمال الخيرية ومساعدة المعوزين والمحتاجين، بعيدا كل البعد عن السلطة وما يستتبعها من ترتيبات تفرضها طبيعة السلطة نفسها³.

ومن هذا المنظور كان الأمير عبد القادر يؤسس لفكرة التسامح الديني، ويرسم معالم هوية عالمية تتلاشى فيها الفواصل وتتقلص فيها المساحات التي تبعد الناس عن بعضهم البعض، ويمثل الاختلاف فيها نسيج وجماليات الوجود كله، فيقول: ⁴

ففي أنا كل ما يؤمله لورى ***** فمن شاء قرآنا ومن شاء فرقانا

ومن شاء تورا ومن شاء إنجيلا ***** ومن شاء مزمارا زبورا وتيانا

¹ المرجع نفسه، ص183

² علاه الدين بكري، المرجع السابق، ص20.

³ ناي بوعلي، التسامح وأبعاده الإنسانية في فكر الأمير عبد القادر الجزائري، صحيفة المثقف، مجلة كلية العلوم

الإنسانية و الاجتماعية، جامعة معسكر، الجزائر، 2020، ص1

⁴ المرجع نفسه، ص 2.

ومن شاء مسجدا ينجيه ربه ومن ***** شاء بيعة ناقوسا وصلبانا

ومن شاء كعبة يقبل ركنها ومن ***** شاء أصناما ومن شاء أوثانا

ومن شاء خلوة يكن بها خاليا ***** ومن شاء حانة يغزل غزلانا

ففي أنا ما قد كان أو هو كائن لقد ***** صح عندنا دليلا وبرهانا

ثانيا: البعد الإنساني لنثر الأمير عبد القادر

إذا تتبعنا خطابات الأمير فإن أول انطباع حولها سيكون وصفها بأنها خطابات ونصوص إنسانية بامتياز، وتحمل بين طياتها الكثير من المبادئ الإسلامية والأخلاق النبوية فرغم بساطة أسلوبه لدرجة أنه استعمل كلمات عامية فيه، ورغم بساطة المواضيع التي عرضها فيه وكثرة استهلاكها ويشير الأمير في مذكراته، إلى القيم الإنسانية التي يجب أن يتحلى بها الحاكم مع رعيته ومن أهم الأبعاد الإنسانية التي تواجدت في نثر الأمير عبد القادر نجد:

1. تأكيد الأمير عبد القادر على ضرورة التسليح بالأخلاق والعلم :

لا يخفى على أي قارئ لسيرة وأعمال الأمير عبد القادر انه أعطى أهمية وقيمة للعلم، وأشاد بدوره في أن تسيير شؤون البلاد، وبناءه، واستقراره وازدهاره، وقد ذكر ذلك في مذكراته: "أربعة يرقى بها أربعة: العقل في الرياسة، والرأي في السياسة، والعلم إلى التصدير، والحلم إلى التوفير."¹

¹ خديجة بغدادي، احمد العلاوي، الأبعاد الحضارية للتصوف عند الأمير عبد القادر ، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، العدد 02، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، 2020، ص 17

كما كان يعلى من قيمة الأخلاق، وتهذيب النفوس ودورها في ترقية الأمم، وهو أمر ليس بالغريب عن الأمير، خاصة إذا عدنا إلى نزعتة الصوفية، د على ضرورة التحلي حيث أك عن الرذائل، وتطهير النفس من الخبائث، والتحلي بالفضائل والأخلاق الحسنة مستلهما مبادئه مما أخذه من مشايخه في الزاوية القادرية، ومن الزاوية الشاذلية، فهو صوفي نهل من أكثر من طريقة صوفية، وتلميذ ابن عربي، فالأمير طبق أفكاره الصوفية في الجزائر عن طريق مقاومته لاستعمار، وبناء الدولة الحديثة وما أحوجنا اليوم إلى استثمار هذه الأفكار، وهذه المواقف، في عصر كثر فيه الفتن والحروب والصراعات الطائفية، وسيطرت المادة والتقانة على الإنسان، حتى تغيب الجانب الروحي والإنساني، وهو أمر أدى إلى إلى الاستهتار بالقيم الأخلاقية وبإنسان ذاته، لذا تصبح الحاجة ماسة جدا إلى المنهج التربوي للأمير عبد القادر، ذلك لان استثمار الأمير عبد القادر في البرامج التربوية كفيل بميلاد جيل شبيه بالأمير عبد القادر، في سلوكه وفكره، وحبه للوطن، واعترافه بالآخر، لقد غي ب الأمير كتراث فكري وإنساني، وحضر كأيدولوجية فقط؛ بل... الأمير بل مسيرة جهاد فحسب، بل مسيرة إنسان عرف أن الله لم يصطف لنفسه جنسا ولا عرقا؛ بل جعل الناس كلهم كعملة واحدة.¹

2. السماح والعفو:

يتحدث الأمير عن مخالفه، وهو المعروف بالأدب القولي كما تعكسه كل كتاباته، فهو لا يكتفي بعدم التجريح في المخالف له فقط، بل يدعو له بالسماحة والغفران، كدعائه " لابن حجر العسقلاني " الذي أنكر عليه تصحيحه لقصة الغرائق، فقال: " وإني

¹ المرجع نفسه، ص 17.

لأسأل من الله العفو والسماحة للحافظ ابن حجر حيث صحّ تلك القصة الفظيعة الشنيعة"¹.

وحتى في ممارسته الدينية، نجد أن الأمير يرجّح السماحة واليسر على التشديد والتعنت، ليثبت أن الدين أكبر منابع إلهام قيم المحبة والسماحة والرحمة، والتيسير على الناس، وأن "الملة السمحاء لا ضيق فيها ولا حرج، وهي ملة محمد صلى الله عليه وسلم... فكل شيء فيه ضيق وحرج على المكلف فليس هو من دين محمد صلى الله عليه وسلم، ولا من ملته، ولا جاء به. وكل ما كان فوق الاستطاعة فهو حرج، فليس من الدين [...عكس] الفقهاء الذي حجّروا على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ما وسع الله به عليهم.

وهنا نذكر بعض المواقف التي تسامح فيها الأمير عبد القادر:²

- التسامح مع القبائل التي رفضت الاعتراف بسلطته

كان الأمير عبد القادر متسامحا مع القبائل التي رفضت الاعتراف بسلطته بعد معاهدة التافنة في 30 ماي 1837 فوعدهم بنسيان الماضي إذا حسنت نواياهم معه وبايعوه على الطاعة وتعاونوا معه ضد المحتل الأجنبي. فقد سبق حلمه سيفه في الوقت الذي لم يكونوا في نظره ليس أكثر من كوب من الماء في يد ظمئان، ولما لم تفد المعاملة الحسنة معهم فقد أجهز عليهم وهزمهم في النهاية" فقد استسلم ابن المخطار وجاء شخصا لدى السلطان وطلب منه العفو. ولكن عبد القادر لم يكتف بمنحه العفو فقط بل عينه، وهو مندهش لذلك، خليفة له على القبائل المنهزمة. وهكذا أصبح ابن المخطار

¹ رشا روايح، المرجع السابق، ص384.

² تاجي بوعلي، المرجع السابق، ص5

منذئذ أكثر أنصار عبد القادر إخلاصا له "لقد تسامح الأمير عبد القادر مع القبائل الفقيرة والضعيفة الدخل، ومنحها امتيازات تتمتع على خلاف بقية القبائل الأخرى، وعاملها بدرجة خاصة من الإكرام، وأمرها بأن تدفع ضرائب منخفضة تتماشى مع موارد دخلها البسيط، وشملت هذه المعاملة الخاصة مثلا أولاد سيدي الشيخ وأهل القصور في الصحراء والقبائل التي تعاني من قساوة الطبيعة وتفتقر إلى الموارد المالية التي تزيد عن احتياجاتها لتدفع منها الضرائب المستحقة عليها¹.

-تسامح الأمير عبد القادر مع أسرى الحرب الفرنسيين

بالموازاة مع الثورة المسلحة ضد الغزاة الفرنسيين، كان الأمير عبد القادر يقود ثورة معنوية و معركة أخلاقية كان يملئها عليه الدين الإسلامي الحنيف، فكان يعامل أسرى الحرب معاملة الضيوف، ويوصي جنوده بالإحسان إليهم، ويأمر بتقديم أحسن الطعام إليهم، وطلب من أسقف الجزائر أن يرسل إليهم قسيسا خصيصا لهم ليصلي م، يقول تشرشل معبرا عن إعجابه الاستثنائي ذا المسألة التي ز المشاعر الإنسانية: "وبصدد هذا الموضوع كتب بطل الفكرة الإسلامية الذي لا يعرف المساومة إلى أسقف الجزائر كلمات تستحق أن تكتب بالذهب، قائلا: "أرسل قسيسا إلى معسكري. فسوف لا يحتاج إلى شيء وسوف أعمل على أن يكون محل احترام وتبجيل لأنه سيكون له وظيفة مزدوجة وهي أنه رجل دين".

¹ المرجع نفسه، ص6

3. حرية المعتقد:

يؤكد الأمير دوماً على حرية المعتقد كقيمة إنسانية مفقودة ومبدأ اجتماعي منشود، فيصريح في إحدى رسائله أن "تطبيق التسامح يتمثل في عدم إكراه أي مؤمن بدين على ترك دينه، وكل الشرائع الإلهية، سواء الإسلام وغيره، متفقة في هذه المسألة".¹

4. الاجتهاد:

يحكم الأمير على المجتهد أنه مأجور إن أصاب ومعدور إن أخطأ إذا بذل كل وسعه في صدق الاجتهاد، فيؤكد أن: "الحكم عند الله في كل مسألة - اختلف علماء الشريعة فيها - واحد، والمصيب واحد لا بعينه، والمخطئ معدور".²

ولا يقتصر حكمه هذا على المجتهد في القضايا الشرعية، بل يشمل حتى المجتهد في الأصول الاعتقادية، وهذا على خلاف ما قرره جلّ الأصوليين والكلاميين، فيقول: "الذي ورد به الوارد الإلهي: أن المجتهد إذا أصاب ما هو الحكم عند الله تعالى في النازلة، ووافق ما في نفس الأمر، كان له أجران، أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، وإن أخطأ ما هو الحكم عند الله تعالى، وما وافق ما في نفس الأمر، كان له أجر واحد، وهو أجر الاجتهاد. فليست الإصابة إلا في الباطن، وهي موافقة ما عند الله تعالى في النازلة. وأما في الظاهر فالكل مصيب، لأن الشارع قرّر حكم كل مجتهد، ولو كان خطأ المجتهد في الظاهر، ما

¹ بكري علاء الدين، المرجع السابق، ص12

² المرجع نفسه، ص13.

قرّره الشارع... فكل مجتهد مصيب في الظاهر، حيث أنه بذل وسعه وأدى ما كلف به، من طلب الحكم الحقّ في النازلة. وأمّا في الباطن فالمصيب واحد لا بعينه من المختلفين".¹

المبحث الثاني: الأبعاد الإنسانية أثناء إمارة الأمير عبد القادر وبعدها

لم يكن الأمير ذلك الحاكم المتعالي والمتسلّط الذي لا تراه رعيته إلا في المناسبات الرسمية يعلو المنابر، ويطبق الأحكام، بل كان متواضعا ومنخرطا بين رعيته

أولا: البعد الإنساني أثناء إمارته

ويمكننا اختصار ممارسات الأمير الإنسانية أثناء إمارته في ثلاث قيم إنسانية، تتمثل الأولى في تحقيقه بمقام الفتوة، وتتجسد الثانية في أنسنة الحرب، وتتمثل الثالثة في تحقيق العدل والمساواة.

1- مقام الفتوة:

يعتبر مقام الفتوة من أرقى المقامات الصوفية، التي ترسخ في السالك أرقى القيم الإنسانية، وقد خصص لهذا المقام الشيخ محيي الدين بابا كاملا في فتوحاته (الباب 42) في معرفة الفتوة والفتيان ومنازلهم وطبقاتهم وأسرار أقطابهم، ويتمحور هذا المقام الصوفي حول فناء الأنانية الشخصية بالبقاء في خدمة الآخرين، أي إمارة الإنيّة الذاتية أو الأنا المتضخمة، وإحياء النّحن، واختصرها الشيخ الأكبر بقوله: "وأصحابها يسمون الفتيان وهم الذين حازوا مكارم الأخلاق أجمعها". وعُرفت الفتوة في الغرب باسم الفروسية،

¹ المرجع نفسه، ص14.

وتعني: "الصفح عن زلات الناس والتماس المعاذير لهم، وأن يستخدم الفتى قوته في نصرة الضعيف من مظلوم وفقير ويقيم وعاجز، وأن يعتبر أن ليس له في الناس عدو ولكن أغبياء وضالون من الواجب تعليمهم وهدايتهم".¹

ويُعدّ الأمير عند جلّ من عاشروه نموذجاً كاملاً لفتوة "أنا هو أنت" على صعيد العرفانين النظري والعملي، وكان في مخاطبته الدول يبرز المصالح المشتركة بينه وبينها، ويحرص على جلاء المنافع المتبادلة، ونقاط التوافق، مذكراً دوماً بالمبادئ السياسية والأخلاقية، ورغم محاربة الفرنسيين له ونقضهم للمواثيق تترأ، وانتهاكاتهم المتتالية في حق الجزائريين، غير أن الأمير كان يسعى ليشق نوافذ بينه وبينهم على عالم الروح ليغمرهم النور، وكان يذكرهم بمبادئ حقوق الإنسان التي يتبجحون بها، مؤكداً على وجوب التعامل بين الناس على أساس الصفاء والمحبة لاستجلاء الجمال الأسمى".²

ومن فتوته أيضاً ما يرويّه ذلك الزنجي الذي أرسلته فرنسا لقتل الأمير، حاملاً خنجراً، وفجأة يرمي بخنجره ويخرّ مرتقياً على قدمي الأمير قائلاً: "لقد جئت لأطعنك، ولكن منظر كقد جرّدي من سلاحي، فقد بدا لي أنني رأيت هالة النبي حول رأسك"، فوقف الأمير ببطء دون أن يبدي أي تأثر، ووضع يده على رأس الزنجي وقال: "لقد دخلت حيمتي قاتلاً، وإن الله الذي قادك إلى التوبة عن عملك الشرير قد حكم أن تخرج منها بريئاً، فاذهب إذن وتذكر أن خادماً لله قد عفا عنك".³

¹ محمد فؤاد عبد الباقي، اعتنى به: محمود بن الجميل، ط1، مكتبة الصفاء، القاهرة، ط1، 2002، ص69.

² محمد باشا، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر، المطبعة التجارية، الاسكندرية، دط، 1953، ص275.

³ المرجع نفسه، ص258.

وبناء عليه كان الدافع بالأمير الفتي إلى حمل السيف هو مقاومة الظلم ودفع الاضطهاد، محرّماً على نفسه الغدر ونقض العهد، رغم إباحة المستعمر لكل ذلك، فالأمير لم يحارب الإنسان المحرم أو الظالم أو المستعمر بل حارب الإجرام والظلم والاستعمار وعلى هذا الأساس سلك حربه الشريفة، الأمر الذي مكّنه فيما بعد من جعل بلاده تدخل في دولا ب الحياة الدولية.¹

2. انسنة الحرب:

الظاهر في التاريخ المعاصر أن أوروبا هي المنشئة للقانون الدولي الإنساني، الهادف إلى احترام إنسانية الإنسان، وذلك تحت رعاية اللجنة الدولية للصليب الأحمر، بداية من "اتفاقية باريس" سنة 1857 م، والتي بدأت نصوصها الرئيسية بالمعالجة القانونية لمسألة الحروب وتنظيمها، فأُلغيت بم وجبها القرصنة ومهاجمة سفن العدو والاستلاء عليها. ثم تلتها "معاهدة جنيف" المعروفة سنة 1864 م، والتي تعلقت بالجنود المصابين بالجروح في ساحات القتال. ثم مؤتمر لاهاي 1899 م و 1907 م اللذين تعلقا باحترام قواعد وعادات الحرب.²

لكن بالرجوع تاريخيا للوراء قليلا، نجد أن الأمير عبد القادر قد كان سبّاقا في أنسنة الحروب، ما جعله يترك بصمات راسخة في القانون الدولي الإنساني تشهد له إلى اليوم بالمشاركة الفعالة في البناء الحضاري. وذلك من خلال الدستور الذي وضعه سنة 1833 م، في شكل كتاب عنوانه: "وشاح الكتائب وزينة الجند المحمدي الغالب"، وهذا ما أهّله لأنه

¹ المرجع نفسه، ص 258

² عبد القادر دوحه، " بصمات الأمير عبد القادر الجزائري في القانون الدولي الإنساني"، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 13، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2016، ص 227.

يُدرج ضمن رواد القانون الدولي الإنساني حتى أنه "نُظّم ملتقى دوليا داخل قصر الأمم المتحدة في جنيف من 3 إلى 21 أبريل 2006م، وُسّم ب: الأمير عبد القادر الجزائري، رائد القانون الإنساني ومنشد الحوار بين الديانات. حيث أشاد جلّ المتدخلين بالبعد الإنساني في مواقف الأمير.¹

وتتحلى أسبقية الأمير في أنسنة الحرب من خلال ما أشتُهر به من احترامه الفريد للأسرى، وخاصة النساء منهم، حيث أوجب في أول بيان له كتبه بعد توليه الإمارة مباشرة، على كل مجاهد في الجيش عدم تعريض الأسير أو الجريح للأذى أو الإهانة، واحترام إنسانيته إن كان فردا أو جماعة، وإن كان جريحا يجب عرضه على طبيب الكتيبة وتقدم؟ كل ما يحتاج إليه، وعدم محاربة العدو بوحشية وتقطيعه، ومن يقطع رأسا أو أذنا ويحمله للقائد يعاقب فيُجلد ويُسجن، وكل من يأتي بأسير حيّ غير معانٍ يُكافأ، كما حرم تحريما قاطعا قتل أسير مجرد من السلاح، الأمر الذي نصّت عليه المادة الثالثة من اتفاقية جنيف الثالثة التي جاءت بعد دستور الأمير بأزيد من قرن من الزمن. هذا الخطاب ألقاه الأمير في الوقت الذي كانت فيه فرنسا تبيع كل تلك الجرائم وأكثر في حق الجزائريين بل وتكافئ عليها. والأمير هنا يؤكد على أن قيمة السلام ترفض العنف بشكل قطعي، وتدعو إلى الرفق والسلم حتى في أوقات العنف المشرّع من قبيل الدفاع عن النفس والوطن.²

كل هذه المعاملات النبيلة، سبق بها الأمير قوانين اتفاقية جنيف الدولية لحماية حقوق الإنسان في الحرب، منها المادة 71 التي تسمح للأسرى بإرسال واستلام الخاطبات، والمادة

¹ المرجع نفسه، ص227.

² رشا روابح، المرجع السابق، ص392

34 التي تنص على حرية الأسرى في ممارسة واجباتهم الدينية، والمادة 37 التي اشترطت تعيين رجل دين من مذهب الأسرى¹.

هذا وإن حديث الأمير عن حرية المعتقد لم يكن مجرد خبر على ورق، وإنما جسّد ذلك عمليا في حياته، حيث يروي لنا "تشرشل"، عن سجينين أرادا اعتناق الإسلام، فأجابهما الأمير: "إذا كنتما تفعّلان ذلك عن طيب خاطر فأهلا وسهلا بكما، ولكن إذا كنتما تفعّلان ذلك شعورا منكما بالخطر أثناء الحالة التي أنتما عليها فإنكما مخطئان، فلو ظللتما مسيحيين كما أنتما الآن، فلن يحدث لكما أي إزعاج، ولن تمس شعرة من رأسيكما. فكّرّا "...وهنا صاح سجين بقوله: قد تقطعون رأسي ولكنكم لن تقدروا على جعلي أرتدّ عن ديني.. فردّ الأمير: هوّن عليك فإن حياتك محرمة عليّ، إنني أحب سماع هذه اللهجة، إنك رجل شجاع ومخلص وتستحق تقديري، فأنا أحترم الشجاعة في الدين أكثر من الشجاعة في الحرب. وهذا ما يعكس احترام الأمير لقناعات الأسرى الدينية².

ومن خلال هذه النماذج الإنسانية التي ذكرناها، يسقط قول من قال بأن الأمير كان يتودّد للفرنسيين من خلال كتابه "المذكرات"، فالرجل كان رحيمًا بطبعه، أثناء قوته وأثناء ضعفه على السواء، حتى شُبّه قلبه بقلب الأنتى في رحمته ولطفه، فيقول "تشرشل" أن "مجرد منظر السجين كان يثير في صدر عبد القادر أسى العواطف وأنبال المشاعر العزيرة على الطبيعة الإنسانية، فقلبه الذي عُرف بالقساوة والجساسة ساعة الخطر، كان يتسع وينعم حتى ليصبح في نعومة قلب امرأة أمام مصير الأسير".

¹ بديعة الجزائري، المرجع السابق، ص49

² المرجع نفسه، ص50.

3. تحقيق العدل والمساواة

كانت قيمة العدل هي أول قيمة وَعَدَ بها الأمير عبد القادر منذ اللحظة الأولى التي بُويع فيها، حيث قال في أول خطاب له: "لن يكون مرشدي غير تعاليم القرآن... تولينا هذه المسؤولية الهامة آملين أن يكون ذلك وسيلة لتوحيد المسلمين... ولقبول هذه المسؤولية اشترطنا على الذين منحونا السلطات العليا الخضوع إلى تعاليم كتاب الله، وإلى الحكم بالعدل طبقا لسنة النبي صلى الله عليه وسلم"¹.

لم يكن وعد الأمير بتطبيق العدل مجرد كلام لكسب الأصوات، وإنما ذلك ما كان حياً على أرض الواقع، فحقق الأمير نقلة نوعية في نظام الحكم في الجزائر، حتى وصف "هنري تشرشل" دولته بأنها "مثالا للنظام والترتيب" بإحيائه لمبدأ العدل والمساواة في الحكم ليس بين رعيته فقط، بل حتى بينه وبين الرعية، حتى شُبه بالخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، حيث يق ول كاتبه "مصطفى بن التهامي": "وقد كان جديرا بذلك الاتصاف... وأجمع أهل الحل والعقد من علمائنا (بالجزائر) وأشرافنا... على أنه كان لا يتجاوز ما حد له من الحدود الشرعية ولا يتبع هوى نفسه، ولا يوقر قريبا على أجنبي، أو صديقا على عدو دنيوي"².

وبالعدل والمساواة تمكن الأمير من استرجاع ثقة الرعية التي اعتادت الاستنفار من الحكام الجائرين، وبإدراكه لدور الأحكام التي تصدر عنه في صناعة المجتمع وحمايته، كان دائما مبتدئا في إصدار أحكامه بنفسه وبمشيرته الأقربين، فتساوى الجميع في إعلان كلمة الجهاد، وحتى في مظهره الخارجي، كان يلبس نفس ثياب أكثر خدمه تواضعا، فقال:

¹ محمد باشا، المرجع السابق، ص202.

² المرجع نفسه، ص203

"كنت أرغب أن لا أفرض على العرب إلا ما أفرضه على نفسي" فكان لا يعرف الفساد، ولا يأخذ لنفسه من الأموال العامة، وكل الهدايا التي تحضر إليه يرسلها إلى الخزينة العامة، لأنه لا يخدم نفسه ولكنه يخدم الدولة"¹

ثانيا: البعد الإنساني أثناء منفاه

سنتطرق في هذا الجزء الى أهم التجليات الإنسانية للأمير عبد القادر أثناء فنرو منفاه.

1-أثناء إقامته في مدينة بورصة

يروى نجل الأمير الأكبر " محمد باشا"، أشهر تلك الأعمال الإنسانية التي قام بها والده أثناء إقامته بمدينة بورصة، وهي إضافة إلى تدريسه المجاني في جامع العرب بوسط المدينة، فإنه حين أجرى ختان أولاده، ختن معهم خمسمائة فقير، واحتفل لذلك أياماً، وقد تعجّب أهل المدينة من تصرف هذا الأمير، لأن من عادة أعيانهم أنهم يحتفلون بمثل هذه الأفراح بمنتهى الأبهة والبهجة والموسيقى، ولكن الأمير عبد القادر احتفل بكثرة الصدقات والإعانات لمتاجيها، بحيث التفّ جماهير الفقراء والمحتاجين حول بيته يتلقون من يديه أنواع الأطعمة والألبسة والمال، وكانوا على كثرتهم يرفعون أصواتهم بالدعاء له، وهو يقول: أربعوا على أنفسكم، واشكروا الله تعالى.²

فعلى الرغم من قصر الفترة التي مكثها الأمير في مدينة بورصة، إلا أن تأثيره بقي مستمرا إلى يوم الناس هذا، بحيث تنظم مؤتمرات حول الأمير عبد القادر بمدينة بورصة، كالذي نظّمته جامعة بورصة بتاريخ 11-أيار2012، وحتى كبار أهل المدينة لم ينسوا

¹المرجع نفسه، ص154.

²المرجع نفسه، ص275

فضله على أبناء مدينتهم، حيث يروون عن أجدادهم تلك المعاملات الإنسانية التي كان يتلقاها أبناء المدينة من الأمير، من تعليم، وإطعام، ومساعدات مالية وغيرها.

2. أثناء إقامته في دمشق:

لا نكاد نجد مؤرخا لتاريخ الشام الحديث يخلو كتابه من ذكر الأمير عبد القادر، الذي ترك بصمات إنسانية قوية في بلاد الشام ملاً بها الدنيا شهرة، ولعلّ أبرز مشهد يحتفظ به التاريخ للأمير في الخدمة الاجتماعية والإنسانية، يتمثل في موقفه الفريد في فتنة دمشق المعروفة سنة 1860 التي ضمرت نارها بين النصارى المارون والمسلمين الدروز، فاندلع "نزاع دموي مسلح و رهيب إثر انتفاضة فلاحي جبل لبنان الموارنة ضد مالكي الأراضي الإقطاعيين من الطائفة الدرزية... وكان الدروز أشدّ بسالة في القتال من الموارنة، يتمتعون بسلاح أفضل، فقاموا بمهاجمة... القرى [المسيحية] وأجبروا من تبقى من أهلها على الهروب في عتمة الليل إلى دمشق... وقد ذبح [ما لا يقل عن 22 ألف شخص على مدى ثمانية أيام بلياليها. انتصب أهالي المدينة وراء الأمير عبد القادر للدفاع عنها... ووجد معظم المسيحيين الأمان في قصر الأمير عبد القادر الذي جمعهم... وعندما وصلت الغوغاء إلى دار الأمير قرر مواجهتهم بنفسه... صرخ غاضباً أمام الناس: "أهكذا ترضون نبيكم محمداً أيها الأوغاد؟ لن أعطيكم مسيحياً واحداً، فجميعهم أخوة لي، وجميعهم في حمايتي وحماية أسرتي"¹.

لم يحتمل الأمير الإنسان ذلك الاعتداء والظلم الذي تعرض إليه المسيحيون، خاصة بعد أن بلغه بأن صبيان المسلمين يصورون الصليب في الطرقات، ويرسونه في الأوراق

¹ فارس الإيمان، محمد الشريف سحلي، "الأمير عبد القادر"، تر: محمد يحياتن، ط1، المؤسسة الوطنية للاتصال

والنشر، الجزائر، ط1، 2008، ص12

ويلقونها في المحلات القذرة، فهبّ مع رجاله المغاربة إلى الأحياء المسيحية لردّ الهجمات الدرزية الذين لم ينفع فيهم وعظه ونصحه، وقد التجأ إلى بيت الأمير أعيان المسيحيين والرهبان والراهبات والقناصل، وقام بحماية كل ملاجئ المسيحيين مما أدّى بالتضحية ببعض رفقاءه من الجزائريين، كما أمّن لبعض المسيحيين طريق الوصول إلى بيروت بعد أن اكتظ بيته بهم، وقد بلغ عدد الذين حماهم خمسة عشر ألف نفس وقيل أكثر من ستة عشر ألف مسيحي.¹

وبهذا الموقف النبيل كان الأمير قد لمّ ذلك الصدع الذي أصاب المجتمع الشامي، وأعاد الوئام بين مكوناته، وصانه من استغلال الغرب لفرصة الشقاق من أن يستعمره بحجة الدفاع عنه، لقد شكل الأمير نموذجاً راقياً للإنسان الحضاري في عدة مستويات، إذ أن محاربته للاستعمار الفرنسي بالسلام لم تنف تلك التعاملات الحضارية، وكان موقفه من فتنة دمشق الطائفية أعظم عمل لقّب الأمير على أساسه برجل الإنسانية والسلام، حتى قال تشرشل أن: "جميع ممثلي الدول المسيحيين في دمشق، دون استثناء مدينون بحياتهم للأمير عبد القادر، العربي سليل النبوة المحمدية، الذي حمى وصان عروش المسيح، وخمد هياج أوروبا المسيحية وغضبها".²

كل ما سبق ذكره من معاملات الأمير الإنسانية، وخاصة مع غير المسلمين، تبنى أساساً على عقيدته العرفانية في النفس الإنسانية، ومفادها تساوي النفوس البشرية كلها في الشرف من حيث الأصل، ويوافق في ذلك شيخه محيي الدين، الذي علّل بذلك وقوف النبي صلى الله عليه وسلم لجنازة اليهودي بأن النفس الإنسانية: "منفوخة من الروح المضاف"، «أَلَيْسَتْ نَفْسًا» وقوله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن ذلك إلى الله بطريق

¹ المرجع نفسه، ص12.

² رشا روايح، المرجع السابق، ص399

التشريف، فالأصل شريف. ولما كانت من العالم الأشرف قام لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونها نفساً، فقيامه لعينها، وهذا إعلام بتساوي النفوس في أصلها¹.

إضافة إلى فكرة الأمير في وحدة النفس البشرية كمؤسس للترعة الإنسانية لديه، توجد فكرة أخرى تأسست عليها تلك الترعة، وهي وحدة العقل الإنساني من حيث هو قسمة عادلة بين البشر، فالله ساوى بين الناس في قوامة الجسم ومبادئ العقل، وترك التنافس في تفتيق تلك الهبة الربانية من خلال عملية التفكير، ومن ثمّ ينشأ الاختلاف، والعامل من يستثمر تلك المنحة الربانية فيمسك بأسباب القوة والحضارة. لذا نبه الأمير في كتابه ذكرى العاقل، أن العقل هو العلامة الدالة على وحدة البشر، وأن الناس أخوة ليس بوحدة الأب آدم، بل بوحدة العقل. لأن من أدرك أن العقل هو جوهر كينونة البشر لا يمكن أن يكون إلا إنسانياً فكراً وسلوكاً، فالناس أمام العقل سواسية².

وفوق كل من وحدة العقل البشري ووحدة النفس البشرية، توجد وحدة الحقيقة الإلهية، المتعالية، الجامعة لكل البشر، لأنه "ليس هناك خلاف بين الأديان على مستوى التوحيد، فكل الأديان السماوية تؤمن بالله الواحد، لكن نشأ الخلاف بفعل الأحكام التاريخية التي تغذت بفعل التاريخ وحمولاته المعرفية والإيديولوجية والحقيقة الإلهية تتضافر مع الفطرة الإنسانية تضايفاً دلالياً، فالحقيقة علامة من علامات الفطرة السليمة التي فطر الله عليها آدم وبنيه³.

¹ المرجع نفسه، ص399

² بكري علاء الدين، المرجع السابق، ص328

³ المرجع نفسه، ص328.

الخلاصة:

لقد اعتنى الأمير عبد القادر بالجانب الروحي للفرد و تجسد ذلك في الشعر عند أهل التصوف، و نشره ما يعكس أبعاد إنسانية هامة تمثلت في كتاباته من خلال ذكر أهم القيم الإنسانية ومن اعتذار و تسامح فلم تنحصر أبعاده الإنسانية فقط في كتاباته بل كانت واسعة وذلك من خلال توليه الإمارة و أثناء منفاه فقد مارس التصوف الى غاية آخر يوم له.

الخلاصة

إن التجربة الصوفية تجربة فردية وذاتية ومنغلقة على نفسها، ولا يمكن لها إلا أن تكون كذلك، وعندما يُراد لها أن تتجلى في الكلام يجد القارئ نفسه بإزاء نصوص متميزة، ومتحددة بتجدد التجربة بذاتها، والصوفي المستغرق في أحواله - كحال أميرنا - لا يتكلم إلا عن ذوق، الأمر الذي يجعل تلك النصوص شديدة الخصوصية والخصوبة والثراء. وإزاء هذه الخصوصية، فإن القارئ يلزمه أن ينشئ علاقة وطيدة بالنصوص الصوفية، يتخلى قبلها عن مفاهيمه الجاهزة، ويتزوّد بحمولة عرفانية من الاصطلاحات الفنية. وإذا تيسرت له هذه العلاقة فإنه سيصاب بداء العشق للنص الصوفي، والإقامة فيه بالإنصات والتسأل، بعد أن كان قبل ذلك ينكر عليه وفقاً لمعطيات الفهم الظاهري.

وكنتيجة عامة لكل ما سبق، نقول أن الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد العارف هو مدرسة بأكملها، متعددة التخصصات، وكتابه المواقف هو من أنفس ما أنتج العقل العربي والجزائري بشكل خاص في القرن 19، يستدعي منا الجلوس على الركبتين والانصات إلى ما يقدمه من دروس تربوية وروحية وعرفانية ومعرفية. كما أن سلوكات الأمير عبد القادر ومواقفه الإنسانية هي مدرسة أخرى، قدمت لنا أسى نموذج للإنسان الكوني، بحيث يمكننا استشرافها من أجل تأسيس مشروع إسلامي عالمي شمولي توحيدي، يتسم بالوحدة والتنوع في الآن ذاته، ويصلح لأن يكون النمط العولمي الأقدر على تحدي هيمنة ثقافة الترميط التي كرسها العولمة المادية، وذلك بالانتقال من عولمة المعلومات إلى عولمة القيم، ومن دولة الفكرة إلى دولة الإنسان، ومن معادلة الإنسان على العالم إلى معادلة الإنسان في العالم. طبعاً، يتحقق هذا بعد الفرز والتمحيص، فليس كل ما قاله الأمير أو فعله، قابل للاقتداء والاستشراف، وإنما نأخذ ما وافق المبادئ الدينية والقيم الإنسانية، ونتجاوز غير ذلك. ولعل أهم ما يمكن أن يُسهم به هذا البحث من توصيات، ما يلي:

- العمل على تصويب الرؤية السائدة حول التصوف، وذلك بتقديمه على أنه ممارسة إنسانية تعبدية، تركز على أساسين؛ أحدهما أخلاقي قيمى، والثاني معرفى عرفانى. يتجلى دور الأول أفقياً، أي فى السعى إلى بناء الإنسان والاصلاح الاجتماعى وروحنته. والثانى عمودياً، أي فى صلة الإنسان بالحق تعالى، القائمة على مبدأ المحبة، والتى تصبو إلى تحقيق المعرفة به تعالى ذاتا وصفاتا وأفعالا، جمالا وجلالا وكمالا، وهذا امتداد لما قام به الأمير نفسه من خلال دروسه التى جمعت فى كتابه المواقف.

- بذل جهود مضاعفة من أجل إعادة الاعتبار لأعلام التصوف عموما والتصوف الجزائرى خصوصا، وعلى رأسهم الأمير عبد القادر، من أجل الإفادة من تجاربهم وأفكارهم، بدلا من استيراد الأفكار الغربية واستدخالها على منظومتنا الإسلامية.

- الدعوة إلى تأليف معجم المصطلح الصوفى عند الأمير عبد القادر، على شاكلة المعجم الصوفى الخاص بمصطلحات الشيخ الأكبر، للدكتورة سعاد عبد الحكيم، وذلك لأجل تقريب المفاهيم العرفانية الإشكالية، من أجل تعميم الفائدة التى تكتزها النصوص العرفانية الأميرية.

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.

قائمة المراجع

أولاً: قائمة المصادر

1. الأمير عبد القادر، الديوان، تح: العربي دحو، مؤسسة جائزة بت عبد العزيز سعود، البابطين، الكويت، دط، 1982.
2. الأمير عبد القادر، "ديوان الأمير عبد القادر"، دار اليقظة العربية، بيروت، ط2، تر وت: ممدوح حقي، 1964.
3. الأمير عبد القادر الجزائري، المذكرات، تح: محمد الصغير بناني ومحفوظ سياتي ومحمد الصالح ألقون، تخريج لأحاديث: عبد المجيد بيرم، ط7، دار الأمة، الجزائر، 2010.
4. الأمير عبد القادر: ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، تح: زكريا صيام، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1982.
5. الأمير عبد القادر الجزائري، "المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد"، منشورات دار النهضة العربية، دمشق، دط، 1967.
6. الأمير عبد القادر الجزائري، "ذكرى العاقل و تبنيه الغافل"، تح: ممدوح حقي.
7. الأمير عبد القادر الجزائري، "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر".
8. شارل هنري تشرشل، "حياة الأمير عبد القادر"، تح: أبو قاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982.

ثانياً: قائمة المراجع

1. ابن منظور، "لسان العرب" دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، ط4، 2005.
2. إبراهيم رماني، "الغموض في الشعر العربي الحديث"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط.

3. أبو قاسم سعد الله، " تاريخ الجزائر الثقافي "، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991.
4. أبو الوفاء الغنيمي: "مدخل إلى التصوف الإسلامي"، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1988.
5. بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي دارالنشر الالكتروني، دط، دت.
6. بكري علاء الدين، " مفهوم الوراثة المحمدية وعلاقتها بالبيعة الروحية عند الأمير عبد القادر الجزائري"، دار موفم للنشر، الجزائر، دط، 2011 .
7. بديعة الحسني الجزائري، " وما بدلوا تبديلا"، دار الوعي، الجزائر، دط، 2012.
9. جاب الله طيب، الطرق الصوفية في الجزائر بين النشأة والتطور، دار الفكر والإبداع، دط، دت.
10. جواد مرابط، " التصوف و الأمير عبد القادر"، دار اليقظة، سوريا، دط، 1966.
11. زكي مبارك، "التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق"، دار الكتاب والوثائق القومية، مصر، دط، 2006.
12. زكريا صيّام، " ديوان الأمير عبد القادر الجزائري"، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر .
13. سلمى الخضراء الجيوشي، " الاتجاهات و الحركات في الشعر العربي الحديث " تر : عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2001 .
14. سعاد الحكيم، "المعجم الصوفي"، دار دارة، بيروت، لبنان، ط 1، 1981

15. العقبي صلاح مؤيد، الطرق الصوفية بالجزائر تاريخها و نشاطها ، دار البراق، لبنان، دط، 2002..
16. عبد الكريم يعقوب، " الرمز في النثر الصوفي"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 25، العدد1، الجزائر، 2023.
17. علي محمد الصلاحي، " سيرة الأمير عبد القادر قائد رباني ومجاهد إسلامي " ، دار المعرفة، لبنان، دط، دت.
18. عبد الرزاق السبع، " الأمير عبد القادر الجزائري و ادبه "، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، دط، 2000.
19. عبد الحليم محمود، "قضية التصوف"، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1988.
20. عبد الباقي مفتاح، " مواقف الأمير وتاريخ الجزائري الثقافي"، دار الوعي للنشر، دط، 1991.
21. فيصل بدير عون، "التصوف الإسلامي الطريق والرجال"، مكتبة سعيد رأفت، دط، 1983.
22. فارس الإيمان، محمد الشريف سحلي، "الأمير عبد القادر"، تر: محمد يحياتن، ط1 ، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، 2008.
23. فؤاد صالح السيد، "الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا" ، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1985.
24. فؤاد محمد عبد الباقي، تحـ: محمود بن الجميل، ط1 ، مكتبة الصفا، القاهرة، 2002.

25. محمد طه الحاجري، " جوانب من الحياة العقلية والادبية في الجزائر "معهد البحوث الدراسات العربية، القاهرة، دط، 1968.

26. محمد السيد على الوزير، " الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته و أثرها على أدبه"، مكتب الملك فيصل، السعودية، دط، 1986.

27. مختار ح بّار، " شعر أبي مدين التلمساني - الرؤيا و التشكيل -"، إتحاد كتاب العرب، دمشق، د ط ، 2002 ،

28. نزار اباضة ، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1994.

29. منصف عبد الحق، "الكتابة و التجربة الصوفيّة"، منشورات عكاظ، المغرب، دط، 1988،

30. محمد مرادّ بركات ، "الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي"، دار النهضة للنشر والتوزيع، دط، 1990.

31. محمد باشا، تحفة الزائر في ما اثر الأمير عبد القادر وانبار الجزائر، المطبعة التجارية، الاسكندرية، دط، 1953.

32. لويس معلوف، "المنجد في اللغة و الإعلام "دار المشرق، بيروت، ط 40 ، 2003.

ثانيا: الدوريات و المجلات

1. إيمان بن احمد، " المقامات والأحوال في فكر الأمير عبد القادر الجزائري"، مجلة التكامل، العدد03، جامعة تلمسان، الجزائر، 2018.

2. بن رية مليكة، " الشيخ عبد القادر الجيلاني شيخ الطريقة القادرية و منهجه في اصلاح التصوف"، مجلة دراسات و ابحاث ، لعدد01، جامعة الجزائر 02، الجزائر، 2021،
 3. سامية بوعجاجة، " البعد الصوفي في شعر الأمير عبد القادر الجزائري" ، مجلة العلوم الإنسانية، العدد30— جامعة بسكرة، الجزائر، 2013
 4. عبد القادر دوحه، " بصمات الأمير عبد القادر الجزائري في القانون الدولي الإنساني"، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 13، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2016
 5. نابي بوعلي، " التسامح وأبعاده الإنسانية في فكر الأمير عبد القادر الجزائري"، مجلة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر، الجزائر، 2020
- ثانيا: الرسائل الجامعية
1. الزهراء زواوي فرحات، " الأمير عبد القادر حياته ودعوته "، مذكرة تخرج ماستر، تخصص إعلام و اتصال، معهد العلوم الإسلامية، قسم اصول الدين، جامعة الوادي، 2018/2017.
 2. رشا روابح، " التصوف عند الامير عبد القادر الجزائري واهماده الانسانية"، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، جامعة باتنة، الجزائر، 2020-2019.
 3. عائشة بن سعد، البعد الروحي لمقاومة الامير عبد القادر الجزائري، رسالة ماجستير ، في التاريخ الحديث والمعاصر، العلوم الإنسانية والاجتماعية .
 4. عديلة بوشكيرو، " تحليلات المصطلح الصوفي في ديوان الأمير عبد القادر الجزائري" ، مذكرة ماستر في اللغة العربية والأدب العربي، جامعة جيجل، الجزائر، 2015/2014.

5. نذير بوجلله، " التقليد والتجديد في شعر الأمير عبد القادر"، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2008/2007.

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
	الإهداء
	الشكر
(أ-هـ)	المقدمة
ب	1. أهداف الدراسة
ب	2. أهمية الدراسة
ب	3. دوافع اختيار الموضوع
ج	4. الإطار الزمني والمكاني للدراسة
ج	5. إشكالية الدراسة
ج	6. الخطة الدراسة
د	7. المنهج المتبع للدراسة
د	8. الدراسات السابقة
هـ	9. عراقيل الدراسة
(7-25)	الفصل الأول: حياة الأمير عبد القادر
7	تمهيد
8	المبحث الأول: التعريف بالأمير عبد القادر
8	أولاً: أصله و مولده
8	1. أصله
9	2. مولده
10	ثانياً: نشأته ووفاته
10	1. نشأته
12	2. وفاته
13	المبحث الثاني: إنتاجه الفكري
13	أولاً: مؤلفاته
14	1. مؤلفات الشعرية

18	2. مؤلفات نثرية
20	ثانيا: الطرق الصوفية
25	الخلاصة
(27-47)	الفصل الثاني: التصوف عند الأمير عبد القادر
27	تمهيد
28	المبحث الأول: تصوف الأمير عبد القادر
28	أولا: مفهوم التصوف عند الأمير عبد القادر
30	ثانيا: الأحوال والمقامات الصوفية عند الأمير عبد القادر
39	المبحث الثاني: دوافع ومراحل تصوف الأمير عبد القادر
39	أولا اسباب تصوف الأمير عبد القادر
42	ثانيا: مراحل تصوف الأمير عبد القادر
47	الخلاصة
(49-74)	الفصل الثالث: الدلالة الصوفية عند الأمير عبد القادر
49	تمهيد
49	المبحث الأول: شعر و نثر الأمير عبد القادر
50	أولا: شعره
63	ثانيا: نثره
67	المبحث الثاني: رموز الدلالة الصوفية للأمير عبد القادر
67	أولا: مفهوم الرمز عنده
68	ثانيا: رموز الدلالة الصوفية (رمز المرأة، المحبة، الخمرة)
74	الخلاصة
(76-96)	الفصل الرابع: أبعاد التصوف عند الأمير عبد القادر
76	تمهيد
77	المبحث الأول: أبعاد التصوف عند الأمير عبد القادر
77	أولا: البعد الإنساني لشعر الأمير عبد القادر

81	ثانيا: البعد الإنساني لنشر الأمير عبد القادر
85	المبحث الثاني: الأبعاد الإنسانية أثناء إمارته و بعدها
85	اولا: البعد الإنساني أثناء إمارته
92	ثانيا: البعد الإنساني اثناء منفاه
96	الخلاصة
98	الخاتمة
101	المصادر و المراجع
106	فهرس المحتويات
111	الملخص باللغة العربية
112	الملخص باللغة الانجليزية

المخلص

تهدف هذه الدراسة الى إظهار جانب آخر من فكر الأمير عبد القادر غير الجانب السياسي و العسكري، حيث أنه لم يكن مجرد رجل سياسة بل سلك منهجا من خلال نشأته تمثل هذا المنهج في التصوف الذي ورثه عن محي الدين ابن عربي حيث كانت الظروف التي مر بها هي العامل الأساسي في ازدهار فكرة التصوف عنده فقد كان مكوثه في السجن لفترة سببا في تعمق أفكاره.

كان تصوفه عبارة عن تجربة روحية بغية الوصول الى معرفة الله تعالى من الظاهر والباطن وذلك عبر مروره بمراحل للتعمق في التصوف، فالأمير عبد القادر يعتبر مثال الصوفي الذي وقف في وجه الاستعمار.

إضافة الى شرح أهم الأحوال و المقامات الصوفية في نظره و خطاباتاته الصوفية من شعر و نثر و دلالتها الصوفية أضف الى ذلك انه يمتاز بترعة إنسانية عبر تكوينه لأبعاد إنسانية لتصوفه.

This study aims to show another aspect of Emir Abdul Qadir's thought other than the political and military aspect, as he was not just a man of politics but rather followed a method through his upbringing. The main factor in the flourishing of the idea of Sufism for him was his stay in prison for a period that caused the deepening of his ideas.

His Sufism was a spiritual experience in order to reach the knowledge of God Almighty from the outward and the inward, and that was through passing through stages to delve deeper into Sufism. Prince Abdul Qadir is considered an example of a Sufi who stood in the face of colonialism.

In addition to explaining the most important Sufi conditions and shrines in his view and his Sufi discourses of poetry and prose and their Sufi significance, in addition to that he is characterized by a human tendency through his formation of human dimensions of his Sufism.